بحث القاف العربية

Conference Paper · November 2019

1 author:



Abdelkareem Gabal
Tanta University

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالقاهرة

مستلة من

مجلة
كلية اللغة العربية بالقاهرة

العدد
الرابع والعشرين
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

إشراف
أ.د / عبد الله الحسيني هلال
عميد الكلية
ورئيس مجلس إدارة المجلة

القاف العربية: صورها النطقية وإبدالها، وتأثيرها فى مجاوراتها

(دراسة صوتية ودلالية)

الدكتور

عبد الكريم محمد حسن جبل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه وجدّه أبى الأنبياء إبراهيم، وبعد...

فهذه دراسة تتعلّق بأحد الأصوات «المشكلة» فى اللغة العربية، وهو صوت القاف، ذلك الذى عالج ضروبًا من «**التقلُّب الفونيمى**» أثمرتْ صوراً نطقية Allophones متعددة له فى عالمنا العربى المعاصر.

وتنهض الدراسة على البحث فى ثلاث مسائل أساسية تتعلق بهذا الصوت، وقد أُفْرِد لكل منها مبحث مستقلّ:

فأما المبحث الأول: فيُعنى بدراسة الصور النطقية لصوت القاف، كما يتجسد فى وصف قدامانا له، وكما يتحقّق فى عالمنا العربى المعاصر، مع الموازنة بين هذه الصور النطقية للوقوف على تلك التى عناها القدماء بوصفهم. وقد قفّيتُ هذا المبحث بمحاولة وضع «**تصوُّر ترجيحىّ**» لتوالد هذه الصور النطقية معتبراً ما قرّره الدرسُ اللغوىّ المقارن بشأن تحديد النطق الأقدم لهذا الصوت.

وأما المبحث الثانى: (= **إبدال القاف**)، فقد خصّصتُه لدراسة ما أوردته بعض كتب اللغة - وعلى رأسها كتب الإبدال - على أنه أمثله لحصول الإبدال بين القاف وغيرها من الأصوات، مقسِّمًا تلك الأمثلة إلى أمثلة تتحقّق فيها العلاقة الصوتية، وأخرى تعوزها تلك العلاقة. مع محاولة بيان «**الأصيل**» و «**المبدل**» فى أمثلة القسم الأول، وبيان خروج أمثلة القسم الثانى من دائرة «**الإبدال**» إلى دائرة «**الترادف**».

وأما المبحث الثالث: (= **تأثير القاف فى مجاوراتها**)، فقد كَسَرتُه على الحديث عن تأثير القاف فى الأصوات الصفيرية (س - ص - ز) التى تجاورها فى بعض جذور اللغة، وهو التأثير الذى اتخذ لدى بعض القبائل العربية منحًى مطرداً، أو شبه مُطّرد.

وقد قّدمتُ بين يدى هذه المباحث الثلاثة بـ «**تمهيد**» عرضتُ فيه لأهم المفاهيم الاصطلاحية التى تتردد تردُّدًا فى أثناء البحث، وهى تلك الخاصة بصفات الأصوات ـ أو ملامحها التمييزية ـ موازنًا فى ذلك بين «**كلام**» قدامانا، وما قرره المحدثون.

وأما «**الخاتمة**»، فقد عرضت فيها لأهم النتائج التى أمكن الوقوف عليها من خلال هذه الدراسة.

والدراسة ـ بعد ـ دراسة صوتية فى معظمها كما هو ظاهر. وأما الجانب (الدلالى) فيها، فيتمثّل ـ على نحو خاص ـ فى المبحث الثانى (= **إبدال القاف**) حيث اعتمدت المعيار الدلالى أساسًا لتحديد «**الأصيل**» و«**المبدل**» من الأمثلة التى تحققت فيها العلاقة الصوتية (ق / ك ـ ق / غ)، كما اعتمدته أساسًا ـ كذلك ـ لإخراج الأمثلة التى لا تتحقق فيها هذه العلاقة من دائرة «**الإبدال**» إلى دائرة «**الترادف**».

وقد استعنتُ فى عملى هذا بكل ما استطعت الوقوف عليه من مصادر عربية: تراثية ومعاصرة، ومصادر أجنبية: مترجمة وغير مترجمة، مما حسبت أن فيه إفادة لأى جانب من جوانب الدراسة.

....**وبعد**، فهذا جهد أدعو الله ـ جلّ وعزّ ـ أن يتقبّله، وأن ينفع به، وأن يتجاوز عما قد يكون به من قصور.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

[**الكهف**: ١٨ / ١٠]

تمهيد

أ. صفات الأصوات

تتمايز الأصوات اللغوية - بعضها عن بعض - بتنوع المخارج التي تنتج منها (شفوية - لثَوية - لَهَوية...). وتتباين - كذلك - باستئثار كلٍّ منها بمجموعة من **«الصفات»** أو الملامح التمييزية distinctive Features، كالجهر والهمس، والشِّدَّة، والرَّخاوة، وغيرها.

ولهذه الصفات - أو الملامح التمييزية - أهميتها المعتبرة؛ إذ أنها - في جانب منها - مناط التفريق بين الأصوات ذات المخارج الواحدة - أو المتقاربة - كالتاء والدال، والسين والصاد مثلاً. يقول مكّي بن أبي طالب القيسي، (ت٤٣٧هـ): **«فالحروف تكون من مخرج واحد، وتختلف صفاتُها؛ فيختلف لذلك ما يقع في السمع من كل حرف»**[1]، ويقول شهاب الدين القَسْطَلاَني (ت٩٢٣هـ): **«وفائدتها** (أى: الصفات) **تمييز الحروف المتشاركة في المخرج؛ إذ لولاها لا تُحدت»**[2].

ويمكن النظر إلى هذه الصفات من ثلاثة اعتبارات رئيسية[3]:

- طريقة النطق menner of articulation (شدّة/ رخاوة..).

- حالة الوترين الصوتيين vocal cords لدى النطق بالصوت (جهر/همس...).

- مشاركة مؤخِّرة اللسان - منفرداً أو مع طرفه - في إنتاج الصوت (استعلاء/إطباق...).

فأما الاعتبار الأول (= طريقة النطق)، فيصنِّف المحدثون - على أساسه - الأصوات اللغوية إلى ثلاثة أنواع أساسية:

---

(١) مكى بن أبى طالب القيسى: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص٥٦.

(٢) شهاب الدين القسطلانى: لطائف الإشارات لفنون القراءات ١/١٩٦.

(٣) انظر: د. تمام حسان: مناهج البحث فى اللغة ص١١٢، وانظر - كذلك -:

-Hawkins: Introducing phonology, P.74.

١ـ الأصوات الوقفية(١) Stops، وهى تلك الأصوات التى «تنتج عن طريق الإيقاف الكامل لمجرى الهواء ـ بشكل ما ـ لمدّة وجيزة جداً، ثم إطلاقه فجأة»(٢). فإنتاج الصوت «**الوقفى**» ـ إذن ـ يحدث كما يلى(٣).

ـ التقاء عضوين من أعضاء النطق التقاءً محكماً.

ـ احتباس الهواء خلف نقطة التقائهما.

ـ انفصال العضوين فجأة، وانطلاق الهواء؛ فينتج الصوت.

وتتعدّد الوسائل ـ وكذا المواضع ـ التى يحصل بها ـ أو عندها ـ هذا الإيقاف الكامل لمجرى الهواء كانطباق الشفتين، أو التقاء مقدَّم اللسان بلثة الثنايا العليا، أو غير ذلك.

والأصوات الوقفية فى العربية المعاصرة ـ كما تتجسَّم فى نطق قرّاء القرآن الكريم ـ هى: **الهمزة، والباء، والتاء، والدال، والطاء، والضاد، والكاف، والقاف**(٤).

٢ـ الأصوات الاحتكاكية(٥) **Fricative**، وهى «تلك الأصوات التى تنتج حين

---

(١) تسمى كذلك بالانفجارية Plosive على أساس أن الهواء «المحتبس» فى الفم «ينفجر» حين يُفْتض المُعتَرِض، انظر:

- O'conner: Phonetics, P.47.

- Fromkin: An introduction to language, P.193.

وانظر ـ كذلك ـ: د. السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى ص١٥٣، ود. بشر: علم الأصوات ص١٩٧، ود. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوى ص١١٧، ود. الخولى: الأصوات اللغوية ص٣٧.

(2) Yale: The study of language, P.39

وانظر ـ كذلك ـ: -Phonetics, P.47.

(٣) انظر: مناهج البحث فى اللغة ص١١٢، وعلم اللغة ـ مقدمة ص١٥٣.

وانظر ـ كذلك ـ: - Al - ani, Arabic phonology, P.31.

(٤) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٣، وعلم الأصوات ص١٩٧.

(٥) وتسمى كذلك بالاستمرارية continuant

انظر: Carr: Phonology, P.56.

وانظر ـ كذلك ـ: دراسة الصوت اللغوى ص١١٨.

يتقارب عضوان من أعضاء النطق تقاربًا شديدًا بحيث يُحدث الهواءُ المارّ بينهما احتكاكًا مسموعًا "audible Friction"(١).

فليس ثمة - إذن - إيقاف كامل لتيار الهواء، كما هو الشأن في الأصوات الوقفية، بل تضييق شديد لمنفذ مرور هذا التيار عند نقطة ما؛ مما يولِّد احتكاكًا، يجسِّم جَرْسُه أحد الأصوات الاحتكاكيّة(٢).

٣- **الأصوات المركَّبة** Affricates، والمقصود بتركّبها هو أنها تجمع بين صفتي الانفجار والاحتكاك، فهي تنتج «حين يحصل إغلاق كامل في الجهاز الصوتي؛ فيحتبس الهواء خلفه، ثم يحصل تسريب تدريجي لهذا الهواء المحتبس: فبدء حصول هذا التسريب يمّثل عنصر الانفجار. وأما عنصر الاحتكاك، فيتأتّى من أن الانفصال الذي يعقب هذا التسريح يكون من البطء بحيث يُحدث احتكاكًا مسموعًا»(٣).

فالصوت المركَّب - إذن - يبدأ وقفيًّا انفجاريًّا لينتهي احتكاكيًّا، وذلك كما هو الشأن في الجيم العربية المعطَّشة الفصيحة، وكما هو الشأن في الصوت الأول من كلمة Child الإنجليزية(٤).

وأمّا قدامانا، فقد ميّزوا - في هذا الصدد - بين صفتين أساسيتين، هما: «الشِّدّة» في مقابل «الرَّخاوة»:

---

(١) - Crystal: A dictionary of Linguistics and phonetics, P.159

وانظر - كذلك:

- Phonetics, P.4

- Ladefoged: A course in phonetics, P.9.

(٢) وانظر في التقسيمات الفرعية للأصوات الاحتكاكية (صفيرية...): دراسة الصوت اللغوي ص١١٨ - ١١٩، ود. الخولي: الأصوات اللغوية ص٣٧.

(٣) - A dictioary of Linguistics and Phonetics, P.12.

وانظر - كذلك:

- A course in Phonetics, P11.

- Phonology, PP.56 - 57.

(٤) وانظر: مناهج البحث في اللغة ص١١٣، ودراسة الصوت اللغوي ص١١٩ - ١٢٠، وعلم اللغة - مقدمة ص١٦٦ - ١٦٧.

-«الشِّدَّة»: وقد عرَّفها سيبويه (ت ١٨٠هـ) - وصفًا - بقوله: «ومن الحروف: الشديد، وهو الذى يمنع الصوتَ أن يَجرى فيه... وذلك أنك لو قلت: الحجّ، ثم مددت صوتَك لم يَجْرِ فيه»[١].

-«والرِّخاوة»: وقد عرَّفها سيبويه - وصْفًا كذلك - بقوله: «ومنها الرِّخوة، وهى: الهاء، والحاء.. والضاد.. والسين، وذلك إذا قلتَ: الطّسّ وانقض، وأشباه ذلك، أجريتَ فيه الصوتَ إن شئتَ»[٢].

وقد تابع سيبويه فى تعريفه لهاتين الصفتين جمهرةُ اللغويين والنحاة، وعلماء التجويد والقراءات، جامعين الأصوات الشديدة فى عبارة «**أجدك قَطَبْتَ**»[٣].

ويحسن الالتفاف - هنا - إلى أن «مصطلح الشدّة (عند سيبويه) مأخوذ من استعمال الشَّدّ لغويًا، بمعنى: رَبْط فم الكيس أو الوعاء؛ حتي لا يخرج منه شئ، تسيُّبًا أو تبعثُرًا... وليست صفة الشِّدّة مأخوذة من الشِّدّة بمعنى القوة، كما ظنّ بعض علماء التجويد المتأخرين»[٤].

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٤. (٢) الكتاب ٤/٤٣٥.

(٣) انظر - مثلاً -: ابن السرّاج: الأصول فى النحو ٣/٤٠٢، وابن جنى: سر صناعة الإعراب ١/٦١، وأبو البركات ابن الأنبارى: أسرار العربية ص٤٢٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٢٩، والرضى الاسترابادى: شرح الشافعية ٣/٢٦٠، وابن عصفور: الممتع ٢/٦٧٢، وأبو حيان الأندلسى: إرتشاف الضَّرَب ١/١٧، وابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٤٦.

وانظر: من كتب التجويد والقراءات: الرعاية لتجويد القراءة ص١١٧، و التحديد فى الإتقان ص٢٢٦، وابن الباذش: الإقناع فى القراءات السبع ١/١٧٤ - ١٧٥، وابن الجزرى: التمهيد فى علم التجويد ص٨٧ - ٨٨، والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢، ولطائف الإشارات ١/١٩٨.

ويتضح - بعد - أن الخلاف بين تحديد القدماء والمحدثين للأصوات الشديدة والرخوة يكاد ينحصر فى صوتى الجيم والضاد؛ إذ عدّ القدماء الأول شديداً فى حين عدّه المحدثون مركّبًا، وعدّ القدماء الثاني من الأصوات الرخوة، فى حين عدّه المحدثون من الأصوات الشديدة معتبرين فى ذلك الضاد المصرية الغالبة على قراءة القرآن الكريم

(٤) د. محمد جبل: المختصر فى أصوات اللغة العربية ص٦٧، وانظر: تاج العروس (شدّ) ٨/٢٤١، اللسان (وكى) ٦/٤٩١١.

ومن الواضح - بعد - أنّ ثمة تطابقًا بين مفهومي «الشدّة» و«الرّخاوة» لدى سيبويه - ومن سار على جديلته - ومفهومي «الإيقاف» و«الاحتكاك» لدى المحدثين؛ من حيث وحدة المعيار لدى كلٍّ: «مَنْع الصوت» أو «جريانه» لدى سيبويه، مقابل «إيقاف تيار الهواء»، أو «استمراريته» لدى المحدثين(١).

وأشير - أخيراً في هذا الصدد - إلى أن ثمة صفة صوتية ثالثة عرض لها القدماء، وهي «التوسط بين الشدّة والرخاوة»، وقد جمعوا الأصوات المتصفة بهذه الصفة في عبارة «لن عمر». وتتميز هذه الأصوات - في رأيهم - بأنها تجمع بين صفتي الشدّة والرخاوة؛ من حيث حصول اعتراض لمجرى الهواء في موضع ما (=عنصر الشدّة)، ومرور النَّفس على الرغم من ذلك من منفذ آخر (= عنصر الرخاوة)، كما هو الشأن في صوت اللام مثلاً(٢).

وأما من حيث الاعتبار الثاني (= حالة الوترين الصوتيين لدى النطق بالصوت)، فيميّز المحدثون بين صفتين أساسيتين: «الجهر» في مقابل «الهمس»:

فأما مصطلح **الجهر**: فيشير إلى «الأثر السمعي الناتج من تذبذب الوترين الصوتيين Vocal cords»(٣). والسبب في حصول هذا التذبذب هو أن الوترين الصوتيين يكونان - لدى النطق بالصوت المجهور - متقاربيْن «أو في وضْع تلامُس، ثم

---

(١) وانظر في التعليق على تعريف سيبويه لهاتين الصفتين:
شاده: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص٨ - ١٠، وكانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٣٥-٣٦، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص١٢٦-١٢٧، ود. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٤٠-٤١، والمختصر في أصوات اللغة العربية ص٦٧-٦٨، ود. إسماعيل عمايرة: نظرات في التطور الصوتي للعربية ص١٢١-١٢٥.

(٢) انظر: الكتاب ٤ / ٤٣٥، وسر الصناعة ١ / ٦١، والممتع ٢ / ٦٧٣-٦٧٥، وشرح الشافية٣ / ٢٦٠-٢٦١، والنشر في القراءات العشر ١ / ٢٠٢. وانظر في التعليق على كلام القدماء بشأن هذه الصفة: أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٤-٢٥، ومناهج البحث في اللغة ص١١٣، والمختصر في أصوات اللغة العربية ص٦٨.

(٣) - A dictionary of linguistics and Phonetics, P.413.

يباعد بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى التيارُ الرئويُّ المتدفق من خلال فتحة المزمار، وتتكرّر عملية الملامسة والتفريق مكوِّنة ذبذبة »[1].

فصوت هذه الذبذبة (= أثرها السمعي) - إذن - هو مفهوم صفة « الجهر »، والصوت المجهور Voiced هو الصوت الذى يصحبه ذلك الأثرُ السمعي.

وأما «**الهمس**»: فهو عكس «**الجهر**»، «فالصوت المهموس هو الذى لا يهتزّ معه الوتران الصوتيان، ولا يُسمَع لهما رنين حين النطق به »[2].

والصوامت المجهورة Voiced في العربية المعاصرة - كما تتجسَّم فى نطق قرّاء القرآن الكريم - هى: الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاى، والضاد، والظاء والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، والواو (فى نحو: ولد)، والياء (فى نحو: يئس)، وما عداها مهموس Voiceless[3].

وأما سيبويه (١٨٠هـ)، فقد عرّف الجهر والهمس بقوله: « فالمجهورة: حرف أُشبع الاعتماد فى موضعه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يَجرى معه حتى يَنْقضى الاعتمادُ عليه ويَجرى الصوتُ.. وأما المهموس، فحرف أُضعف الاعتماد فى موضعه حتى جَرَى النَّفَسُ معه »[4] وقد عين سيبويه الصوامت المهموسة فى العربية، وهى تلك المكَّونة لعبارة: « سكت فحثَّه شخص »، وما عداها فهو مجهور.

ومهما يكن من أمر هذا التعريف[5]، وما يبدو فيه من « تداخل » بين تعريف

---

(١) دراسة الصوت اللغوى ص١٢٨. (٢) د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠.

(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢١، ود. بشر: علم الأصوات، ودراسة الصوت اللغوى ص٢٧٧. وأما صوت الهمزة، فجهره أو همسه موضع خلاف. انظر: د. أنيس: الأصوات اللغويةص٩٠، وعلم الأصوات ص٢٨٨، ودراسة الصوت اللغوى ص٢٧٧.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٥) انظر فى محاولة شرح تعريف سيبويه للجهر والهمس: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص١٠-١٣، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص١٢٤-١٢٦، والمدخل إلى علم اللغة ص٣٩-٤٠، ود. الطيب البكوش: النظريات الصوتية فى كتاب سيبويه ص١٤٧، ونظرات فى التطور الصوتى للعربية ص١٢١-١٢٥.

سيبويه لهاتين الصفتين، وتعريفه السابق لصفتي «الشدة» و«الرَّخاوة»[1]، فإن تعيينه الصحيح لما هو مجهور ومهموس من أصوات العربية[2]، لممَّا يشهد بوقوفه على حقيقة الصفتين، وإن كان في صياغته للتعريف قَدْر من الإلباس والغموض.

وقد ردَّد جمهور النحاة واللغويين، وعلماء التجويد والقراءات تعريفَ سيبويه - ذلك السابق - بنصّه دون إضافة ملموسة كاشفة؛[3] ولعل غموض التعريف هو مما حدا بهم إلى ذلك.

وأما من حيث الاعتبار الثالث (وضع مؤخَّر اللسان لدى النطق بالصوت)، فيميِّز المحدثون - في ضوئه - بين وصفين أساسيين:

١- الطبقية Velar articulation ، ويشير هذا الوصف إلى «إنتاج الصوت عن طريق رفع مؤخَّر اللسان تجاه الحنك الليِّن Soft palate»[4] فـ«الطَّبـقَيـة» - إذن - «حركة عضوية مقصودة لذاتها، يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد»[5].

والأصوات الطبقية - بالمفهوم السابق - في العربية المعاصرة، هي أصوات: القاف، والخاء، والغين، و(الكاف).

٢- الإطباق Velarisation، وهو يشير إلى «أى نطق ثانوى يتضمن حركة للجزء الخلفي من اللسان تجاه الحنك اللين. وحتى يوصف الصوت بأنه مُطبق velarized،

---

(١) وذلك من حيث ذِكره لقيد «مَنْع النَّفس» في الجهر، و«جَرْى النَّفسَ» في الهمس، وهما قيدان سبق أن ذكرهما - تقريبًا - في تعريفه لـ«الشدة» و«الرخاوة».

(٢) مع وجود خلاف معروف حول جهر صوتي الطاء والقاف.

(٣) انظر - مثلاً - الأصول في النحو ٣/٤٠١، وسر الصناعة ١/٦٠، وأسرار العربية ص٤٢٣، وشرح المفصل ١٠/١٢٨ - ١٢٩، والممتع ٢/٦٧١، وشرح الشافية ٣/٢٥٨، وارتشاف الضرب ١/١٧.

وانظر - من كتب التجويد والقراءات -: الرعاية لتجويد القراءة ص١١٧، والتحديد في الإتقان ص٢٢٥ - ٢٢٦، والتمهيد في علم التجويد ص٨٦ - ٨٧، والنشر في القراءات العشر ١/٢٠٢، ولطائف الإشارات ١/١٩٧

(٤) - A dictionary of Linguistics and phonetics, P.406.

(٥) مناهج البحث في اللغة ص١١٥، وانظر: د. الخولي: الأصوات اللغوية، ومدخل إلى علم اللغة ص٣٨.

فإنّ موضع نطقه الأساسيّ ينبغي أن يكون في موضع آخر من الفم غير الحنك اللين»[1].

فالصوت «المُطَبق» - إذن - يتميّز بأنه:

- ينتج في أى موضع من الفم غير الطبق (= الحنك اللين).

- يصحب نطقَه ارتفاعُ لمؤخَّر اللسان تجاه الحنك الليِّن.

فصوت «الظاء» - مثلاً - ينتج بوضع طرف اللسان تحت أطراف الثنايا العليا - وهذا هو موضع نطقه الأساسى - إلا أنه يصحبه - كذلك - ارتفاع لمؤخَّر اللسان تجاه الحنك الليِّن؛ فهو لذلك صوت «مطبق». وأما الأصوات «الطبقية»، فتنتج - أساساً - من الطبق (الحنك اللين)[2].

والأصوات «المطبقة» في العربية المعاصرة هى أصوات: الصاد، والضاد، والطاء والظاء.

وأما قدامانا، فقد ميزّوا - فى هذا الصدد - بين زوجين من الصفات المتقابلة: «الاستعلاء» فى مقابل «الاستفال»، و«الإطباق» فى مقابل «الإنفتاح»:

(الاستعلاء/الاستفال):

عيَّن القدماء الأصوات المستعلية فى العربية، وجمعوها فى عبارة «خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ». وعلّل جمهور المتقدمين منهم لوصفها بالاستعلاء، بأن اللسان «يتصعد» - أو «يستعلى» - لدى النطق بها تجاه الحنك الأعلى[3] فى حين دقّق بعض المتأخرين،

---

(١) - A dictionary of Linguistics.., P.409.
وانظر - كذلك - - A Course in Phonetics, P.211.

(٢) وانظر: مناهج البحث فى اللغة ص١١٥، ودراسة الصوت اللغوى ص١٢٥، والمدخل إلى علم اللغة ص٣٧-٣٨، ود. الخولى: الأصوات اللغوية ص٤٦-٤٧.

(٣) انظر - مثلاً -: الكتاب ٤/٤٧٩ (فى حديث سيبويه عن القاف وقلب السين صاداً قبلها)، والمقتضب ١/٣٦٠، وسر الصناعة ١/٦٢، وأسرار العربية ص٤٢٤، وشرح المفصل ١٠/١٢٩، والممتع ٢/٦٧٥. وانظر - من كتب التجويد والقراءات -: الرعاية لتجويد القراءة ص١٢٣، والتحديد فى الإتقان ص٢٢٧، والتمهيد فى علم التجويد ص٩٠-٩١ والنشر فى القراءات العشر ١/٢٠٢.

فجعل ارتفاع «أقصى اللسان» خاصة - لاجِرْمه كله - هو مناط الوصف بـ «الاستعلاء» يقول «ساجُقْلي زاده» - ت ١١٥٠هـ - مثلاً: «الاستعلاء: أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى»[١]. وبرهن على ذلك بأن أصوات الجيم والشين والياء والكاف لم توصف بأنها «مستعلية»، على الرغم من «استعلاء» وسط اللسان لدى نطق الثلاثة الأول، و«استعلاء» ما بين أقصى اللسان ووسطه لدى نطق الصوت الأخير (الكاف)[٢].

وأما الأصوات «المستفلة»، فتشمل باقي الأصوات، أي كل ماعدا المجموع في عبارة «خص ضغط قظ». وقد لُقِّبتْ بذلك؛ لأن اللسان - أو أقصاه كما خصص بعض المتأخرين - لا يستعلي لدى النطق بها، بل «يتسفّل» في قاع الفم[٣].

(الإطباق/الانفتاح)

المقصود بـ «الإطباق» - كما يتبدّى من كلام سيبويه - هو ارتفاع أقصى اللسان، وكذلك طرفه، لدى النطق بأصوات الصاد والضاد والطاء والظاء، بحيث «يكون الصوت محصوراً فيما بين اللسان والحنك»[٤]. فلهذه الأصوات - إذن - «موضعان من اللسان» - على حدّعبير سيبويه -:[٥] أقصاه، وطرفه.

وأما «الانفتاح»، فهو - بالمقابلة - عدم ارتفاع أقصى اللسان وطرفه لدى النطق بالصوت، أي «انفتاح» المسافة بين جِرْم اللسان والحنك الأعلى[٦].

---

(١) جهد المقلّ ص٦٥. وانظر في تتبع تعيين ارتفاع «أقصى اللسان» خاصة تجاه الحنك اللين سببًا في الوصف بالاستعلاء: المختصر في أصوات اللغة العربية ص٧٤ (هامش الصفحة).

(٢) انظر: جهد المقلّ ص٦٦-٦٧. وانظر - كذلك - الشيخ محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص٥٧.

(٣) انظر - مثلاً -: التحديد في الإتقان ص٢٢٨، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٤٧، ولطائف الإشارات ١/١٩٨.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٥. وانظر - كذلك - الأصول في النحو ٣/٤٠٤، وسر الصناعة ١/٦١، والرعاية لتجويد القراءة ص١٢٢، وأسرار العربية ص٤٢٤.

(٥) الكتاب: ٤/٤٣٦.

(٦) وانظر: الرعاية لتجويد القراءة ص١٢٣، وأسرار العربية ص٤٢٤، ولطائف الإشارات ١/١٩٨.

والأصوات «المنفتحة» هى كل ما عدا «المطبقة»، أى كل ما عدا: الصاد والضاد والطاء والظاء.

ويتبين لنا ـ بعد ـ ما يلى:

ـ أن مفهوم «الإطباق» أعمّ من مفهوم «الاستعلاء» لدى قدامانا؛ لأن «الإطباق» يستلزم ارتفاع طرف اللسان ـ فضلاً عن أقصاه ـ وارتفاع أقصى اللسان هو مناطق الوصف بـ «الاستعلاء»؛ فكل صوت مطبق هو مستعلٍ بالضرورة، والعكس غير صحيح: فالخاء ـ مثلاً ـ مستعلية؛ لأنها تنتج بارتفاع أقصى اللسان تجاه الحنك اللين ولكنها غير مطبقة (منفتحة) لعدم ارتفاع طرف اللسان ـ كذلك ـ لدى النطق بها[1]؛ «فالأطباق فى اللغة العربية نوع من الاستعلاء»[2].

ـ أن مفهوم «الطَّبَقيّة» ـ لدى المحدثين ـ أعمّ قليلاً من مفهوم «الاستعلاء» لدى قدامانا؛ فـ «الطبقية» تعنى مشاركة أىّ جزء من مؤخرٍ اللسان فى إنتاج الصوت، فى حين أن «الاستعلاء» يعنى مشاركة أقصى اللسان خاصة فى ذلك، كما دقّق بعض المتآخرين.

ـ أن مفهوم «الإطباق» لدى المحدثين يكاد يتطابق مع مفهومه لدى قدامانا؛ من حيث اتفاق كلٍّ على أن الاتصاف بتلك الصفة يقتضى مشاركة مزدوجة من كلٍّ من مؤخر اللسان عامة ـ أو أقصاه خاصة ـ مع طرفه فى إنتاج الصوت.

●●●

(١) وانظر: جهد المُقلّ ص٦٧-٦٨، ونهاية القول المفيد ص٥٩.

(٢) برجشتراسر: التطور النحوى للغةالعربية ص٢٦. وانظر ـ كذلك ـ: دروس فى علم الأصوات العربية ص٣٦-٣٧.

١. الصور النطقية للقاف

تعرّضت بعض فونيمات اللغة العربية ـ ومنها القاف ـ لضروب من « التغيرات الصوتية المطّردة ». وتجسّم ذلك فى تحقّق أكثر من صورة نطقية Allophone لكل منها فى اللهجات العربية المعاصرة.

وتتميز هذه الصور النطقية المطّردة بتماثل المعنى، وهذا هو المعيار الأهمّ للحكم باعتدادها صوراً نطقية لفونيم واحد، وعدم اعتدادها فونيمات مستقلة:

فالفعل « قال » ـ مثلاً ـ منطوقًا بقاف القراء المعاصرة، أو بالقاف القاهرية التى كالهمزة، أو بتلك البدوية التى كالجيم القاهرية.. يحمل فى كلٍّ معنىً واحد؛ ولذا نحكم بأن كُلاً ن هذه « النُّطُق » تجسِّد صورة نطقية لفونيم واحد، هو فونيم القاف / ق /.

ويُفرَّق ـ عادة ـ فى هذا الصدد بين نوعين أساسيين من التغيرات الصوتية[١]:

ـ تغيرات صوتية مطلقة أو غير مقيدة unconditioned Change

والمقصود بها تلك التغيرات « التى تحدث من التحول فى النظام الصوتى للغة بحيث يصير الصوت اللغوى فى جميع سياقاته صوتًا آخر »[٢].

وذلك مثل نطق الجيم المعطشة (الفصيحة) جيمًا طبقية غير معطّشة فى (كل) كلمة تحتوى على هذا الصوت فى اللهجة القاهرية[٣].

---

(١) انظر فى تفصيل القول فى ذلك: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦ – ٢٨، ود. انيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٨ـ ٢١١، والتطور اللغوى: مظاهره ص٢٤ـ٣٠.

وانظر ـ كذلك ـ: Iehmann: historical Iinguistics, PP.190 - 191.

(٢) التطور اللغوى: مظاهره ص٢٤. وانظر ـ كذلك ـ التطور النحوى للغة العربية ص٢٧.

(٣) وانظر: د. انيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٨.

ـ تغييرات صوتية مقيدة Conditioned والمقصود بها تلك التغيرات التى يرتبط تحققها «بتجمع صوتى معيَّن، وليست عامة فى الصوت فى كل ظروفه وسياقاته اللغوية»[1].

وذلك مثل نطق السين زايًا إذا وقعت قبل القاف (= القيد) فى لهجة قبيلة «كلب»، على ما سيُفصّل فى المبحث الثالث.

فإذا ما طبقنا هذا التقسيم على الصور النطقية لصوت القاف كما جسّده وَصْف القدماء، وكما يتجسَّد فى اللهجات العربية المعاصِرة، فإن **الصور النطقية المطلقة** لهذا الصوت تشمل ما يلى:

ـ القاف التى وصفها القدماء.

ـ قاف القراء المعاصرة.

ـ القاف التى كالهمزة.

ـ القاف التى كالكاف.

وأما الصور النطقية المقيدة فتشمل:

ـ القاف التى كالجيم المعطّشة (الفصيحة).

ـ القاف التى كالدال والزاى مركَّبين (دْز).

ـ القاف التى كالغين.

مع ملاحظة أن الصورة النطقية الأخيرة مقيدة بقيد ثقافى، لا بقيد صوتى، على ما سيُفصَّل فى موضعه:

* * *

---

(١) التطور اللغوى: مظاهره ص٤٩. وانظر ـ كذلك ـ التطور النحوى للغة العربية ص٢٧.

١.أ.الصور النطقية المطلقة

١ـأ ـ ١: القاف التى وَصَفَها القدماء

المقصود بذلك، هو تلك «القاف» التى تردّد نعتُها ـ مخرجًا وصفات ـ فى مصنَّفات القدماء.

وإن استقراء جمهور هذه المصنَّفات ليقودنا إلى تحديد الملامح التمييزية dis-tinctive Featres لهذه القاف كما يلى:

المخرج: التقاء أقصى اللسان بما فوقه من الحنك الأعلى (= لهوية).

الصفات: ـ وقفية (شديدة).

ـ مجهورة.

ـ مستعلية.

وقد تردّدتْ هذه النعوت ـ دون إضافة أو تعديل مذكور ـ فى كتب اللغة والنحو، وكتب التجويد والقراءات: سواء ما يتعلّق من تلك النعوت بالمخرج[١] أو ما يتعلق منها بالصفات[٢].

---

(١) انظر ـ فى تحديد المخرج ـ من كتب اللغة والنحو: العين ١ /٥٧ـ٥٨، والكتاب ٤ /٤٣٣ وابن السّراج: رسالة الاشتقاق ص٣٥، وتهذيب اللغة ١ /٤٨، وسر الصناعة ١ /٤٧، والحميرى: شمس العلوم ١ /٥٨، وأبو البركات ابن الأنبارى: أسرار العربية ص٤٢٠، وشرح المفصل ١٠ /١٢٣، والممتع ٢ /٦٦٩، وارتشاف الضرب ١ /٨، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤ /٢٤٠.
وانظر ـ من كتب التجويد والقراءات ـ: الرعاية لتجويد القراءة ص١٣٩، والتحديد فى الإتقان ٢٢١، والإقناع فى القراءات السبع ١ /١٧١، والتمهيد فى علم التجويد ص٨٣ـ٨٤، والنشر فى القراءات العشر ١ /١٩٩، والطائف الإشارات ١ /١٩١.

(٢) انظر ـ فى تحديد صفات ـ من كتب اللغة والنحو: الكتاب ٤ /٤٣٤، والمقتضب ١ /٣٣١، الأصول فى النحو ٣ /٤٠١ ـ ٤٠٢، وجمهرة اللغة ١ /٤٦، وسر الصناعة ١ /٦٠، ٦١، ٦٢، ٢٧٧، وشمس العلوم ١ /٨٨، أسرار العربية ص٤٢٢ ـ ٤٢٣، وشرح المفصل ١٠ /١٢٨ ـ ١٢٩، والممتع ٢ /٦٧١، ٦٧٥، وشرح الشافية ٣ /٢٥٨ ـ ٢٥٩، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤ /٢٤٥ ـ ٢٤٧.=

وسوف نعود ـ في نهاية هذا المبحث ـ لمناقشة هذه الملامح التمييزية التي عينّها القدماء لصوت القاف؛ لننظر في انطباق هذه الملامح على أيٍّ من الصور النطقية المتعددة لهذا الصوت...

١ـأـ٢: **القاف البدوية** (g)

تُشبه هذه الصورة النطقية للقاف نطق الجيم القاهرية غير المعطَّشة، ونطق الكاف الفارسية (الجاف = ك)، إلا أنها أعمق قليلا، وأكثر تفخيماً.

وهذا يعني أنها تتميَّز بجملة الملامح التمييزية التالية:

المخرج: التقاء مؤخَّر اللسان (ثلثه الداخلي) بما فوقه من الحنك اللين (= طبقية).

الصفات: ـ وَقْفيّة (شديدة).

ـ مجهورة.

ـ مستفلة.

والقاف البدوية ـ على هذا الوصف ـ تكاد تكون هي النظير المجهور للكاف العربية المهموسة[١].

وتشيع هذه الصورة النطقية للقاف شيوعًا كبيرًا ـ إلى وقتنا هذا ـ في منطقة الخليج العربي، فيقال: مثلاً[٢]:

= وانظر من كتب التجويد والقراءات: الرعاية لتجويد القراءة ص١٧١، والتحديد في الإتقان ٢٧٣، والإقناع في القراءات ١ / ١٧٤ ـ ١٧٥، والتمهيد في علم التجويد ص١٣٨، والنشر في القراءات العشر ١ / ٢٠٢، ولطائف الإشارات ١ / ٢٠٥.

(١) انظر: د. أنيس: الاصوات اللغوية ص٨٥.

(٢) انظر: د. مطر: دراسة صوتية في لهجة البحرين ص٤٢ـ٤٣، ود. فالح حنظل: معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات ص٥١٧، ٥٣٥، ٥٣٦. وقد تمت الاستعانة ـ هاهنا ـ بالرمز الكتابي للگاف الفارسية لتمثيل القاف البدوية، وهما متماثلان تقريباً.

كَلب	بدلاً من	قَلبْ
صَكَر	بدلاً من	صَقْر
كُوَّة	بدلاً من	قُوَّة
كَهوه	بدلاً من	قَهْوة

كما تشبع هذه الصورة النطقية - كذلك - في اليمن والسودان[١] وفي مصر: في محافظات الصعيد، وفي كثير من قرى الوجه البحريّ، إلا أنها ربما تكون - وخاصة تلك المنطوقة في الوجه البحرى - أقلّ عمقًا؛ وبالتالى تفخيمًا، من تللك المنطوقة في منطقة الخليج العربى[٢].

وقد رَصَدَ بعضُ علمائنا شهرةَ هذه القاف، وذيوعها على ألسنة قبائل البدو، وغيرهم، وسَمَّوْها - أحيانًا - بـ «**القاف المعقودة**»، مُنبِّهين على مباينتها للقاف المهموسة الغالبة على ألسنة قرّاء القرآن الكريم:

- قال أبو حيان الأندلسى (ت٧٥٤هـ) - مثلاً - : «وهى (أى: القاف البدوية) الآن غالبة على لسان مَنْ يوجد في البوادى من العرب، حتى لا يكاد عربى ينطق إلا بالقاف المعقودة، لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين، والمنقولة عن وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن»[٣].

- وقال ابن خلدون (ت٨٠٨هـ): «وهو (أى النطق البدوى للقاف) موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غَرْب أو شرق، حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال، ومُخْتصًا بهم لا يُشاركهم فيها غيرُهم..»[٤].

١-أ-٣: قاف القراء (q)

والمقصود بها: تلك القاف التى ينطق بها - الآن - قرّاء القرآن الكريم، التي تشيع -

---

(١) انظر: د. عابدين: من أصول اللهجات العربية فى السودان ص٤٣.

(٢) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧.

(٣) ارتشاف الضرب ١/١٦. وانظر - كذلك -: لطائف الإشارات ١/١٨٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣.

كذلك ـ على ألسنة المثقفين في مواقف الجدّ من القول، كما أنها تجسِّد الأصل السامي القديم، على ما يقرر الدرس اللغوى المقارن(١).

وتتميز هذه القاف بحزمة الملامح التمييزية التالية: (٢)

المخرج: التقاء أقصى اللسان باللهاة (= لهوية).

الصفات: ـ وقفية (شديدة).

ـ مهموسة.

ـ مستعلية.

وما تزال هذه الصورة النطقية للقاف حيةً فى الكلام الدارج، فى بعض المناطق من عالمنا العربى المعاصر.

ومن ذلك: القاف الشائعة على ألسنة كلٍّ من:

أهل مدينة رشيد، وأهل البرلس وبلبيس بمصر(٣).

بعض المناطق فى اليمن، ولا سيما الجنوب(٤).

ـ قبائل الشُّحوح، وبعض أعراب إمارة رأس الخيمة والفجيرة، بدولة الإمارات العربية المتحدة(٥).

---

(١) انظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص٣٩، وبرجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦، وموسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ص٧٠، ود. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧ ـ ٨٨، ومناهج البحث فى اللغة ص١٢٤، ودراسة الصوت اللغوى ص٣١٨، وعلم الأصوات ص٢٧٦، والمدخل إلى علم اللغة ص٥٤ ـ ٥٥.
وانظر ـ كذلك ـ: Arabic phonology, P.32.

(٣) وانظر: حفنى ناصف: مميزات لغات العرب ص٣.

(٤) وانظر: علم الأصوات ص٢٨٢.

(٥) انظر: معجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات ص٥١٧.

- قبيلة «العجمان» - بالكويت - وذلك بالإضافة إلى النطق البدوى الشائع[1].

- بعض مدن الشمال الإفريقى مثل مدينة تونس وقسنطينة..[2].

- أهل الجبال المحيطة بمدينة «تطوان» الواقعة شمال المغرب[3].

ويبدو أن هذه الصورة النطقية للقاف كانت هى الشائعة لدى قبيلة «تميم» - أو بعض فروعها - يقول ابن دريد (ت ٣٢١هـ) - وتابعه ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «فأمّا بنو تميم، فإنهم يُلحقون القاف **باللهاة**، فتغلظ جدًّا، فيقولون للقوم: الكوم، فتكون القاف بين الكاف والقاف، وهذه لغة معروفة فى بنى تميم. قال الشاعر:

ولا أكُول لِكدْر الكوْم كدْ نضجتْ

ولا أكُولُ لبَاب الدار مكفُولُ[4]

وقد تتلّيتُ هذا «الشاهد» فى كثير من مصادر اللغة، عسى أن أجد فى أىٍّ منها تعليقًا على طريقة نطق «القاف» المتكررّة فيه، فلم أجد. وكان سبب تردُّده فى جمهرة هذه المصادر هو الاستشهاد على وقوع اللحن فى ألسنة بعض العامة باستبدال «غَلَيَتْ» بـ «غَلَتْ»، و«مغلوق» بـ «مُغْلَق»[5].

---

(١) انظر: شريفة المعتوق: لهجة العجمان فى الكويت: دراسة لغوية ص٥٨ - ٥٩.

(٢) انظر: دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٩.

(٣) انظر: د. عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب ص٨١.

(٤) جمهرة اللغة ١/٤١-٤٢، والصاحبى ص٣٦ - ٣٧. وانظر - كذلك - البلوى: ألف باء ٢/٢١٧. والبيت المذكور هو لأبى الأسود الدؤلى، وهو موجود فى ملحقات ديوانه المطبوع ص١١٩، مع اختلاف فى نهايتى الشطرين: «غليت» بدلاً من «نضجت»، و«مغلوق» بدلاً من «مكفول».

(٥) انظر - مثلاً -: الكسائى: ما تلحن فيه العامة ص٢١ (ونسب فيه الشاهد خطأ إلى حاتم الطائى)، وابن السكيت: إصلاح المنطق ص١٩٠، وفصيح ثعلب ص٢٦٢، وابن دَرَسْتَوَيْه: تصحيح الفصيح ص٥٣، ١٦٦، والجوهرى: الصحاح (غلق) ٤/١٥٣٨، و(غلا) ٦/٢٤٤٨، والخطيب التبريزى: تهذيب إصلاح المنطق ص٤٥٧-٤٥٨، والعكبرى: المشُوف المُعْلَم فى ترتيب الإصلاح على حروف المعجم ٢/٥٥٠، ولسان العرب (غلق) ٥/٣٢٨٣، و(غلا) ٥/٣٢٩٢، وتاج العروس (غلق) ٢٦/٢٥٨-٢٥٩ (ط. الكويت)، و(غلى) ١٠/٢٧٠ (ط. بولاق).

والذى أرجحه: أن هذه القاف التى أشار إليها ابن دريد - التى عزاها إلى تميم - هى نفسها قاف القرّاء المعاصرة، لا القاف البدوية (= الجيم القاهرية تقريبًا)، كما رجح بعض الباحثين[1]، وذلك لما يلى:

قول ابن دريد عن تلك القاف إن بنى تميم «يلحقونها باللهاة» فالقاف «اللهوية» هى قاف القرّاء المعاصرة (المستعلية)، وليست القاف البدوية؛ لأن تلك الأخيرة تنتج - كما فى النطق الشائع الآن - بالتقاء مؤخَّر اللسان فى نقطة قريبة إلى وسطه بما فوقه من الحنك اللين؛ فهى - إذن - ليست لهوية.

- أن كلام ابن دريد - وكذلك: ابن فارس - عن تلك القاف، كان فى سياق التعرّض لبعض الصور النطقية الخاصة لبعض الأصوات العربية (كالجيم غير المعطشة...). فى حين أن النطق البدوى للقاف كان - وما يزال - هو الصورة النطقية الشائعة لها فى الجزيرة العربية، وقد سبق أن أوردتُ كلام أبي حيان (ت٧٥٤هـ) وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) بهذا الشأن.

فاختصاص الصورة النطقية التميمية بالذكر - إذن - يشير إلى قلّة شيوعها من جهة، ويرجِّح - من جهة أخرى - أن المقصود بها قافُ القرّاء المعاصرة، فهى القاف التى كانت - وما تزال - الأقلّ شيوعًا على ألسنة أهل الجزيرة العربية فى كلامهم الدارج.

- وصَفْ ابن دريد لهذه القاف بأن إلحاقها باللهاة يؤدى إلى أن «أن تغلُظ جدًّا»، يرجِّح - كذلك - أنه يعنى «قاف القرّاء؛ إذ يغلب أن يكون مقصوده بالوصف بـ «الغلَظ» هو التنويه بأن لهذه القاف «قيمة تفخيمية» ملحوظة، وهذا أكثر انطباقًا على قاف القراء؛ فإنها أكثر تفخيمًا من تلك البدوية؛ لأنها أكثر عمقًا[2].

---

(١) انظر - مثلاً -: د. مطر: خصائص اللهجة الكويتية ص٣٢-٣٣، ود. ضاحى عبد الباقى: لغة تميم ص١٠١-١٠٢، ود. عيد الطيب: لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ص١٢١.

(٢) سيُفصَّل القول فى تفخيم القاف فى المبحث الثالث.

- ما ورد من أن التميميين - أو أحد فروعهم - كانوا يقلبون السين صاداً قبل القاف - وكذلك قبل الخاء والغين والطاء - كما فى قولهم: « الصُّوق » بدلاً من « السُّوق ».

وتفسير ذلك صوتيًا - على ما سيُفصَّل فى المبحث الثالث - يشير إلى تأثر السين بالقاف مما أدّى إلى تحولها إلى نظيرها المفخم (الصاد)؛ فالأقرب إلى إحداث هذا التأثير فى السين هو القاف المستعلية المهموسة (قاف القرّاء) : فاستعلاؤها - من جهة - يعطيها « قيمة تفخيمية » تقود إلى التأثير الرجعى فى السين « المرققة » وتحويلها إلى النظير المفخم. واتصاف هذه القاف بالهمس - من جهة أخرى - هو ما وجّه هذا التحول إلى النظير المفخَّم المهموس خاصة، وهو الصاد، دون النظير المفخَّم المجهور، وهو الزاى التى كالظاء المصرية.

فى حين أن « القاف البدوية » تعوزها (درجة) تفخيم « قاف القرّاء »، كما أنها مجهورة؛ فاحتمال أن تكون هذه البدوية - بأوصافها تلك - هى صاحبة التأثير المذكور على السين، يقلّ - بدرجة كبيرة - عن احتمال أن تكون قاف القراء المفخَّمة جزئيًا والمهموسة هى صاحبته.

ومن جهة أخرى، فإن الراجح لدى وجود استعمالات « سينية » وأخرى « زائية » مناظرة للاستعمالات « الصادية » المنسوبة إلى تميم (مثلاً: هذه الدار بـ « لِصْق » تلك، ولِسْقها ولِزْقها) - الراجح - حينئذ - هو أن تكون القاف التالية لهذه الاستعمالات « السينية » و« الزائية » هى القاف البدوية المجهورة والمحدودة التفخيم:

فاتصاف هذه القاف بالجهر يقف من وراء الاستعمالات الزائية؛ ليحصل التماثل فى الجهر بين القاف والزاى.

واتصافها بضآلة التفخيم قد استبقى السين قبلها فى الاستعمالات السينية، دون أن تتحول إلى صاد.

ولعلّ مما يدعم ذلك - أخيراً - هو بقاء النطق « الصادى » على ألسنة الذين مازال

نطق القاف مستعلية مهموسة (= قاف القراء) جاريًا على ألسنتهم، فقبائل الشُّحوح الإماراتية - مثلاً - تقول - كما سمعتُ بنفسي -: «الصُّوق» بدلاً من «السُّوق». وذلك في مقابل النطق السينيّ الجارى على ألسنة من ينطقون بالقاف البدوية الشائعة (السُّوگ) - بالجاف الفارسية.

١-أ-٤: القاف التى كالهمزة (?)

تُماثل هذه الصورة النطقية للقاف نطقَ صوت الهمزة (?) وتمامًا؛ وهذا يعنى أنها تتصف بالملامح التمييزية التالية[١].

المخرج: التقاء الوترين الصوتيين التقاءً محكمًا، ثم انفراجهما فجأة (مزمارية، أو وقفة حنجرية glottal Stop).

الصفات: - وقفية (شديدة).

- لا بالمجهورة ولا بالمهموسة[٢].

وتشيع هذه الصورة النطقية للقاف شيوعًا كبيرًا فى القاهرة ومدن الوجه البحرى بمصر، وفى بلاد الشام[٣] فيقال - مثلاً -:

أَلْب	بدلاً من	قَلْب
صَأْر	بدلاً من	صَقْر
بَرْء	بدلاً من	بَرْق

(١) انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٩٠ -٩١، ودراسة الصوت اللغوى ص١٢٨ - ١٢٩ والمدخل إلى علم اللغة ص٥٦.

(٢) هذا هو الرأى الراجح. انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٩١، ودراسة الصوت اللغوى ص١٢٩، وعلم الأصوات ص٢٨٨. ولم أذكر وصف الهمزة بالاستعلاء أو الاستفال؛ لأنه وصف غير ملائم لها؛ لارتباطه باللسان، ولا دخل للسان - أصلاً - فى نطق الهمزة.

(٣) انظر ليتمان: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧، وبحوث ومقالات فى اللغة ص١٣-١٤، ود. الخولى: الأصوات اللغوية.

وقد ذهب «ليتمان» إلى أن هذه الصورة النطقية للقاف صورة معرقة فى القدَم، محتَجًّا ببعض أسماء الأعلام الفينيقية[1]، كما حاول بعض الباحثين إثبات قدَم هذه الصورة ـ كذلك ـ تأسيسًا على ما أوردتْه بعض كتب الإبدال من أمثلة تعاقبتْ فيها القاف والهمزة والمعنى واحد[2] (مثلاً: القَفْز/ الأَفْز ـ زُهاق مائة/زُهاء...)، إلا أن إثبات أنّ لهذه الصورة النطقية أصلاً لهجيًّا بعينه لم يُتَحْ بعد[3]، على الرغم من شهرة هذه الصورة، وكونها ـ لدى الناطقين بها ـ صورة مطلقة بحيث تُنطَق كل قاف همزةً تقريبًا.

١ـأـ٥: القاف التى كالكاف (K)

تكاد تتطابق هذه الصورة النطقية للقاف مع نطق صوت الكاف (K). وهذا يعنى أنها تتميَّز بجملة الملامح التمييزية التالية[4]:

المخرج: التقاء مؤخَّر اللسان بما فوقه من الحنك الليِّن (= طبقيّة Velar).

الصفات: وقفية (شديدة).

ـ مهموسة.

ـ مستعلية.

وتتحقّق هذه الصورة النطقية للقاف فى مناطق محدودة من عالمنا العربى المعاصر، وذلك مثل:

---

(١) انظر: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٢ـ١٣، وعلم الأصوات ص٢٨٣ ـ ٢٨٤، وانظر: إبدال أبى الطيب ٢/٥٦١ـ٥٦٢.

(٣) وانظر: علم الأصوات ص٢٨٦.

(٤) انظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٥، ومناهج البحث فى اللغة ص١٢٣ـ١٢٤. ودراسة الصوت اللغوى ص٣١٨، والمدخل إلى علم اللغة ص٥٣.

وانظر ـ كذلك Arabic Phonology, P.32. ـ

ـ نطق الفلسطينيين فى القرى، كما فى قولهم[1].

كـــال	بدلاً من	قـــال
كـتله	بدلاً من	قـتله
كَلْبى	بدلاً من	قَلْبى
كَريب	بدلاً من	قـريب
سُـوك	بدلاً من	سُوق..... إلخ

وأما الكاف الأصلية، فتنطق ـ غالبًا ـ مثل الصوت المزدوج (ch)[2] فى أول الكلمة الإنجليزية Chidren .

ـ نطق البحرانيين من سكان جزيرة «سِتْرة» للقاف الموجودة فى بعض الكلمات المستحدثة، أو تلك الشائعة فى مستوى الاستعمال الفصيح؛ إذا ينطقونها كافًا مفخَّمة قليلاً، كما فى قولهم[3]:

مـجلة المواكف	بدلاً من	المـواقـف
عيد الاستكلال	بدلاً من	الاستقلال
كـــرار الوزير	بدلاً من	قـــرار
المعنى المكصود	بدلاً من	المقـصـود

وثَّمة أمثلة تراثية على هذه الصورة النطقية للقاف. فمن ذلك ـ مثلاً ـ:

(١) انظر: ليتمان: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧، ودروس فى علم أصوات العربية ص١١٠، ود. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٠، والتطور اللغوى: مظاهره وعلله وقوانينه ص٢٩.

(٢) وانظر: بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٧.

(٣) انظر: د. مطر: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٨ ـ ١٤٩، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين ص٤٥.

ـ ذكر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ـ مما أخبر به أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) ـ أن أبا مسلم الخراساني (قتل سنة ١٣٧هـ) كان يقول: «كلت لك» بدلاً من «قلت لك»[١].

ـ ذكر أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) أن بعض العرب كان يقول: «الكَمْح» بدلاً من «القَمْح»[٢].

ـ جاء في اللسان أن بعض العرب كان يقول: «كاتله الله» بدلاً من «قاتله»[٣].

* * *

(١) انظر: البيان والتبيّن ١/٧٣. وانظر ـ كذلك ـ: البلوى: ألف باء ٢/٢١٧.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب ١/١٦.

(٣) انظر: اللسان (كتل) ٥/٣٨٢٢.

١. ب. الصور النطقية المقيدة

١ـ ب ـ ١: القاف التى كالجيم الفصيحة (dz)

تماثل هذه الصورة النطقية للقاف نطق الجيم المعطَّشة (الفصيحة)؛ وهذا يعنى أنها تتميّز بجملة الملامح التمييزية التالية:

المخرج: التقاء وسط اللسان بوسط الغار (= الحنك الصلب hard palate).
التقاءً محكمًا «يعقبه وقفة قصيرة، يليها تسريح بطيء؛ ممّا يُنتج صوتًا يجمع بين الانفجار والاحتكاك»[١].

الصفات: مركَّبة (مَزْجية) affricate

- مجهورة.

- مستعلية.

ويشيع هذا النطق للقاف في بعض الكلمات فى منطقة الخليج العربى: فمن أمثلة ذلك فى اللهجة البحرانية: قولهم[٢]:

جِريب (بالجيم المعطّشة)	بدلاً من	قـريب
جِدّام (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قُـدّام
جِرْبه (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قـربه
عتيج (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	عتيق... إلخ

(١) دراسة الصوت اللغوى ص٣١٧. وانظر ـ كذلك ـ د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٧ ـ ٧٨، ومناهج البحث فى اللغة ص١٣١ ـ١٣٢، وعلم الأصوات ص٣١٠.
وانظر ـ كذلك ـ: Arabic phonology, P.32.
وانظر ـ من مصادر التراث: الكتاب ٤/٤٣٣، وسر الصناعة ١/٤٧، والممتع ٢/٦٦٩؛ حيث عُدَّت الجيم من الأصوات الشديدة (الوقفية).

(٢) انظر: جونستون: دراسات فى لهجات شرقي الجزيرة العربية ص١٠٢، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين ص٤٠،. والأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٧، والتطور اللغوى: مظاهره ص٢٩.

ومن أمثلة فى اللهجة الكويتية: قولهم:

جليب (بالجيم المعطّشة)	بدلاً من	قَليب
جِريب (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قريب
ريج (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	ريق
طِريج (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	طريق... إلخ

ومن أمثلته فى اللهجة الإماراتية: قولهم[٢]:

جاسم (بالجيم المعطّشة)	بدلاً من	قاسم
الشارجه (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	الشارقة
جِليب (بالجيم المعطشة)	بدلاً من	قَليب

وقد ثَبَتَ - بالدراسة - أن «القافات» التى تشتمل عليها الأمثلة السابقة - ونحوها - تكون غالبًا - مسبوقة أو متلوّة بصوت لين أمامى Front Vowel قصير أو طويل[٣] (كسرة قصيرة أو طويلة - فتحة مرقّقة...)؛ فهذا يعنى أن تلك الصورة النطقية للقاف صورة مقيدة، وليست مطلقة. مع ملاحظة أن ثمة بعض الأمثلة (القليلة) التى لم تنطق على هذا النحو، على الرغم من تحقُّق البيئة الصوتية المفضية إليه، ونُطِقت - بدلاً من ذلك - بالنطق الشائع[٤] (القاف البدوية).

١ - ب - ٢: القاف التى كالدال والزاى المركّبين (دْز)

تُشبه هذه الصورة النطقية الأخيرة - والأقلّ انتشاراً - نطقَ صوتى الدال والزاى مركَّبيْن (دْز)؛ فهىَ - إذن - مَزْجُ صوتٍ وقفىّ (الدال) يتلوه - توًا - آخر - احتكاكىّ (الزاى).

---

(١) انظر: د. مطر: خصائص اللهجة الكويتية ص٢٦ - ٢٧.

(٢) انظر: معجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات ص٥١٧، ٥٣٧.

(٣) انظر: دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ص١٠٢، ١٠٧، والأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٥٢، وخصائص اللهجة الكويتية ص٢٦، ٢٩، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين ص٤٨ -٤٩.

(٤) انظر: دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ص١٠٢-١٠٣.

وعلى ذلك، فإنه يُمكن تحديد الملامح التمييزية لهذه الصورة النطقية كما يلى:

المخرج: التقاء مقدَّم اللسان بلثة الثنايا العليا (= لثوية).

الصفات: مركَّبة (مَزْجية).

- مجهورة.

- مستفلة.

وتتحقّق هذه الصورة النطقية فى لهجة بعض قدامى أهل الرياض ونواحيها، وذلك مثل قولهم[1]:

دْزِليب	بدلاً من	قليب
دْزِبله	بدلاً من	قِبْلة
إبريدْز	بدلاً من	إبريق
عادْزِل	بدلاً من	عاقل
عَدْزِب	بدلاً من	عَقِب... إلخ

وقد وُجِد - بالدراسة - أن «قافات» الأمثلة السابقة - ونحوها - تأتى مجاورة لصوت لين أمامى[2] كما هو الشأن - تقريباً - فى «قافات» الصورة النطقية السابقة (الجيم المعطّشة)؛ وهذا يعنى أن الصورة النطقية (دْز) صورة مقيدة - كذلك - وليست مطلقة.

---

(١) انظر: دروس فى علم أصوات العربية ص١١١، والتطور اللغوى: مظاهره ص٥١، وبحوث ومقالات فى اللغة ص١٠، ودراسات فى لهجات شرقى الجزيرة ص٥٥، ود. حلمى أبو حسن: لهجة القصيم: دراسة لغوية ص١٥٥.

(٢) انظر: دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية ص٥٤، والتطور اللغوى: مظاهره ص٥١.

١ـ ب ـ ٣: القاف التى كالغين (لا)

تشبه هذه الصورة النطقية للقاف صوت الغين (لا)؛ وهذا يعنى أنها تتسم ـ تقريبًا ـ بالملامح التمييزية التالية[١]:

المخرج: اقتراب أقصى اللسان من اللهاة ـ أو أقصى الحنك اللين ـ اقترابًا شديداً، بحيث يحتك الهواء بهما فى نقطة اقترابهما منتجًا الصوت (الهوى / طبقىّ).

الصفات: احتكاكية (رخوة).

ـ مجهورة.

ـ مستعلية.

ولا تتحقّق هذه الصورة النطقية للقاف إلا فى مناطق محدودة من عالمنا العربى المعاصر، وتفى عدد غير كبير من الكلمات.

ومن تلك المناطق:

ـ شرق السودان وشماله: وقد لاحظ د. عابدين أن هذه النطق للقاف « يتجلّى » ـ عادة ـ عندما يحكى السودانى القاف الفصيحة، كأن يتلو نصًّا فصيحًا، أو يُعبِّر بكلام فصيح »[٢] ومن أمثلة ذلك: قولهم[٣]:

الاستغلال	بدلاً من	الاستقلال
لِغـــــاء	بدلاً من	لـقــــاء
اغتصادى	بدلاً من	اقتـصـادى
انتــغلت	بدلاً من	انتقلت ... إلخ

(١) انظر: د. أنيس: الاصوات اللغوية ص٨٨ ـ٨٩، ومناهج البحث فى اللغة ص١٢٩، ودراسة الصوت اللغوى ص٣١٨، د. بشر: علم الأصوات ص٣٠٣، ود. السعران: علم اللغة ـ مقدمة ص١٤٨.، وقد ذهب د. العانى إلى أن الغين تكون لهوية بعد الضمة والفتحة قصيرتين او طويلتين، وتكون طبقية قصيرة بعد الكسرة قصيرة أو طويلة. انظر: Arabic phonology, 34 -35 وانظر ـ من المصادر القديمة ـ: الكتاب ٤ / ٤٣٣، وشر ابضناعة ١ / ٦٢.

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان ص٤٧. وانظر ـ كذلك ـ علم الأصوات ص٢٨٤.

(٣) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٠.

ـ لهجة البحرين والكويت: حيث تتحقّق هذه الصورة النطقية للقاف فى كلمات قليلة، تتميز ـ كذلك ـ بأنها تنتمى إلى مستوى الاستعمال الفصيح، أو بأنها مستحدثة[1].

ومن ذلك: قول البحرانيين (من أهل جزيرة المحَرق والقرى المجاورة)[2]:

مجلة المواغف	بدلاً من	المواقف
عيد الاستغلال	بدلاً من	الاستقلال
غرار الوزير	بدلاً من	قرار... إلخ

ومن ذلك أيضًا: قول الكويتيين (بنطق بين القاف والغين ـ أو بالغين)[3]:

الغضاء	بدلاً من	القضاء
المغررات	بدلاً من	المقررات
استغلال	بدلاً من	استقلال... إلخ

وثمة أمثلة تراثية (محدودة) على وقوع الإبدال بين القاف والغين فى بعض الاستعمالات ـ على ما سندرس بقدر من التفصيل فى المبحث التالى ـ إلا أنه لم يثبت بعد أن ثمة أصلاً لهجيًا بعينه لهذه الصورة النطقية الغينية[4].

ويتضح ـ بعد ـ أن هذه الصورة الصوتية للقاف ليست صورة مطلقة عند من ينطقونها، بمعنى أنهم لا ينطقون كل قاف غينًا، بل الأمر مقيَّد بقيد ثقافى أو حضارىّ، هو أن تكون القاف صوتًا فى كلمة مستحدثة، أو يشيع تداولها فى مستوى الاستعمال الفصيح.

(١) انظر: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٨.
(٢) انظر: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٤٩.
(٣) انظر: د. مطر: خصائص اللهجة الكويتية ص٣٤.
(٤) وانظر: علم الأصوات ص٢٨٦.

			الملامح التمييزية								
			المخرج	الصفات							
				طريقة النطق			وضع الوترين الصوتيين			وضع مؤخر اللسان	
				وقفي	احتكاكي	مركب	مجهور	مهموس	لا مجهور ولا مهموس	مستعل	مستفل
الصور النطقية للقاف في العربية التراثية والمعاصرة	صور نطقية مطابقة	القاف التي وصفها القدماء	لهوية	+	—	—	+	—	—	+	—
		القاف البدوية	طبقية	+	—	—	+	—	—	—	—
		قاف القراء	لهوية	+	—	—	—	+	—	+	—
		القاف التي كالهمزة	مزمارية	+	—	—	—	—	+	*(1)	*
		القاف التي كالكاف	طبقية	+	—	—	—	+	—	—	+
	صور نطقية مقيدة – مقيدة بقيد صوتي	القاف التي كالجيم المعطشة	غارية	—	—	+	+	—	—	—	+
		القاف التي مثل (دز)	لثوية	—	—	+	+	—	—	—	+
	صور نطقية مقيدة – مقيدة بقيد ثقافي	القاف التي كالغين	لهوية	—	+	—	+	—	—	+	—

(١) يشير هذا الرمز إلى أن الصفة غير ملائمة لوصف الصوت.

١.ج. تحليل وموازنة

سبق أن ذكرتُ أن قدامانا - بدءاً من الخليل وسيبويه - قد حددوا الملامح التمييزية للقاف كما يلى:

المخرج: التقاء أقصى اللسان بما فوقه من الحنك الليِّن (اللهاة).

الصفات: وقفية (شديدة) + مجهورة + مستعلية.

فإذا سلَّمنْا بدقة هذا التحديد، فإن أيًّا من الصور النطقية للقاف - تلك المذكورة سابقًا - لا يتطابق معه؛ لحصول تباين فى المخرج، أو فى الصفات[1]:

فمّما لا يتطابق مع «قاف القدماء» لوجود تباين فى المخرج:

- «القاف البدوية»؛ لأنها - كما هو النطق الشائع لها الآن - لا تخرج من أقصى اللسان، بل من ثلثه الداخلى - فهى - إذن - مستفلة وليست مستعلية.

- «القاف التى كالكاف»؛ لأنها مستفلة - كذلك - تخرج من الثلث الداخلى للسان، لا أقصاه، فضلاً عن أنها مهموسة.

- «القاف التى كالهمزة» لأنها مزمارية (أو حنجرية)، لا لهوية.

- «القاف التى كالجيم المعطشة»، وتلك التى كالدال والزاى (دْز)؛ فالأولى غارية Patatal والثانية لثوية.

ومما لا يتطابق مع «قاف القدماء» لوجود تباين فى الصفات:

«قاف القراء»؛ لأنها مهموسة، فى حين أن «قاف القدماء» مجهورة، مع اتفاقهما فى المخرج (كلاهما لهوىّ).

«القاف التى كالغين»، لأنها احتكاكية (رخوة)، فى حين أن قاف القدماء وَقْفية (شديدة)، مع اتفاقهما فى المخرج كذلك.

---

(١) وانظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية ص١١٠.

والسؤال ـ بعد ـ هو: ما القاف التى وصفها القدماء إذن؟

أقول: إننا نستبعد ـ فى هذا الصدد ـ استبعاداً تامًّا القاف التى كالهمزة، وتلك التى كالجيم المعطشة، والتى كالدال والزاى (دْز). فالأمر فى استحالة كون أىّ منها مقصوداً بوصف القدماء بالغ الوضح.

كما نستبعد كذلك القاف التى كالغين، وتلك التى كالكاف: لأن كّلاً من « الغين » و« الكاف » فونيم مستقلّ فى العربية؛ يترتّب على استبدال أىٍ منهما بالقاف حصولُ تغيُّر فى المعنى (قبّل / كبّل ـ قرّب / غرّب . .) إلا فى حالة حصول الإبدال ـ على ما سيأتى فى المبحث الثانى ـ فالقول بأن « القاف » كانت تنطق « غيناً » أو « كافًا » يعنى حصول « اندماج فونيم » بين القاف وأىٍ من هذين الصوتين، مما يعنى ـ كذلك ـ فناء أحدهما، وهذا أمر غير واقع.

كما أن احتمال خلْط القدماء ـ لدى تحديد المخرج والصفات ـ بين « القاف » وأىٍ من « الغين » و« الكاف » أمر مستبعد كذلك.

فـ « الغين » تباين « قاف القدماء » فى صفة الشدة / الرخاوة (قاف القدماء شديدة والغين رخوة)، وقد كانت هذه الصفة واضحةً فى أذهان جمهور القدماء؛ لسهولة اختبار معيارها (انحباس النَّفَس لدى النطق بالصوت أو استمراره)؛ مما يجعل الخطأ ـ أو الخلط ـ فى الوصف بها احتمالاً بعيد الوقوع.

و« الكاف » تباين « قاف القدماء » فى المخرج وفى الجْرس (وقع الصوت على الأذن) مباينة كافية تجعل القول بخلط القدماء بينهما احتمالاً بعيد الحصول كذلك. ولا يتبقّى ـ بعد ـ سوى « قاف القراء » و« القاف البدوية ».

فأما « قاف القراء »، فاستبعد ـ كذلك ـ أن تكون هى المقصودة بوصف القدماء ـ أو متقدميهم على الأقل ـ وذلك لأمرين:

الأول: ما سبق أن ذكرته من مباينتها لتحديد القدماء فى صفة

(الجهر/الهمس) فقاف القراء مهموسة، فى حين أطبق قدامانا على وصف القاف بـ «الجهر».

الثاني: ما سبق أن رجحته من أن هذه الصورة النطقية للقاف لم تكن شائعة، بل كانت خاصة بقبيلة تميم ـ أو أحد فروعها ـ ودلَّلتُ على ذلك ـ فيما دلَّلت ـ بأن كلام القدماء عنها ـ كابن دريد وابن فارس ـ جاء فى سياق الحديث عن بعض الصور النطقية «الخاصة» المباينة لنظائرها «الشائعة». فهذا مما يرجّح ـ كذلك ـ أنها لم تكن مقصود القدماء بالوصف.

وأما «القاف البدوية»، فهى الصورة النطقية التى أرجح أنها كانت مقصود القدماء[1] ـ أو متقدميهم على الأقل ـ وذلك لأمرين، هما:

الأول: أنها كانت ـ وما تزال ـ الصورة النطقية الشائعة فى شبه الجزيرة العربية.

وقد سبق أن أوردتُ كلام أبى حيان (ت٧٥٤هـ) وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) بشأن شهرة هذه القاف البدوية وذيوعها شرقًا وغربًا؛ مما حدا بابن خلدون أن يؤسِّس على ذلك قولَه: «ويظهر من ذلك أنها (أى: القاف البدوية) لغة مُضَر الأولين»[2]، بل يُفهَم من كلامه أن هناك مَنْ كان يقرأ بها فى الصلاة، ويلحِّن من يقرأ بغيرها[3]:

فمن الراجح ـ إذن ـ أن تكون هذه القاف الذائعة هى القاف التى عناها القدماء بالوصف.

الثاني: أن الملامح التمييزية لهذه القاف البدوية تكاد تتطابق مع تلك التى عيَّنها القدماء؛ فهى مجهورة وشديدة (وقفية) كما نصّ القدماء.

---

(١) انظر: دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٧، وعلم الأصوات ص٢٨٠ -٢٨١؛ ود. حلمى خليل: التفكير الصوتى عند الخليل ص٤٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣.

(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣ ـ ١٢٨٤.

وينحصر التباين ـ بعد ـ في المخرج، إذ حدد القدماء مخرج القاف بأنه من «أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك اللين»، في حين تنتج القاف البدوية ـ كما نسمعها الآن في النطق الشائع ـ في نقطة قبل ذلك (الثلث الداخلي من اللسان).

ونحن ـ إزاء ذلك ـ أمام أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن مفهوم «أقصى اللسان» ـ لدى سيبويه وجمهور من تقفّاه ـ كان يتسع ليشمل الثلث الداخلي منه.

وهذا الاحتمال غير بعيد، فقد جعل بعض قدامانا القاف والكاف ـ على ما بينهما ـ من «حيِّز واحد»[1]، هو ـ بلا شك ـ مؤخَّر اللسان (بما فيه أقصاه).

كما أن تحديد «أقصى اللسان» خاصة مناطًا للوصف بـ «الاستعلاء» ـ وهي الصفة محلّ التباين بين قاف القدماء وتلك البدوية ـ لم يُخصَّص على هذا النحو إلا لدى بعض المتأخرين، في حين كان مفهوم «الاستعلاء» لدى جمهور المتقدمين يعني «ارتفاع اللسان ـ هكذا دون تحديد ـ لدى النطق بالصوت»[2].

الاحتمال الثاني: أن القاف التي وصفها سيبويه ومن تقفّاه، كانت بالفعل قافًا مستعلية ـ بالمفهوم الدقيق للاستعلاء ـ تنتج بالتقاء أقصى اللسان ـ لا ثلثه الداخلي ـ باللهاة، ثم حدث أن تطورتْ بمرور الزمن، فتقدَّم مخرجها إلى الأمام قليلاً؛ وصارت على النحو الشائع الآن[3].

وهذا الاحتمال غير مستبعد ـ كذلك ـ وقد سمعتُ ـ بنفسي ـ تلك القاف المجهورة المستعلية (= قاف القدماء) من أحد الطلاب اليمنيين، وأخبرني بأنها شائعة في قبيلته[4] كما تحدث كانتينو عن لهجات تنطق القاف جافًا «خلفية جدًّا

---

(١) انظر ـ مثلاً: تهذيب اللغة ١/ ٤٨، وشرح المفصَّل ١٠/ ١٢٣ـ١٢٤.

(٢) تعرضت لهذا الأمر بقدر من التفصيل في البحث التمهيدي لدى الحديث عن صفة «الاستعلاء».

(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٦.

(٤) هو الطالب: على محمد محمد العفيري؛ يدرس في كلية القرآن الكريم التابعة لجامعة الأزهر بطنطا، وقبيلته هي «بَكِيل».

قريبة من اللهوية»، وذكر أن من أصحاب تلك اللهجات «قسمًا هامًا (كذا) من سكان اليمن»[١]. فلعلّه يقصد تلك القاف المجهورة المستعلية.

ويبقى ـ بعد ذلك ـ سؤال زخير، هو: إذا كانت القاف البدوية مستعلية كانت أم مستفلة) هي القاف التي وصَفها القدماء والمفترض بالتالي:

أن تكون هي الفصحية:

وأن تكون قراءة القرآن الكريم بها. فكيف صار الأمر ـ إذن ـ إلى قراءة القرآن الكريم بالقاف المهموسة، على نحو ما هو شائع الآن؟

ونقدِّم بين يدى محاولة الإجابة على هذا السؤال، بتقرير أن هذه القاف المهموسة الغالبة ـ الآن ـ على ألسنة قراءة القرآن الكريم هى قاف فصيحة كذلك؛ فلقد سبق أن رجّحت أنها كانت الصورة النطقية الشائعة للقاف لدى قبيلة تميم ـ أو بعض فروعها ـ وتميم «قاعدة من أكبر قواعد العرب» على حدّ تعبير ابن حَزْم[٢] (ت٤٥٦هـ)، وحظّها من الوصف بالفصاحة بين قبائل العرب مقرَّر وموفور؛[٣]، فقراءة القرآن الكريم بها ـ إذن ـ جائزة.

ثم نقول ـ بعد ذلك ـ إنه لابد أن يكون الأمر أن «القاف البدوية» و«قاف القرّاء» استُعملتا ـ متزامنتين ـ ردحًا من الزمن فى قراءة القرآن الكريم، كما تزامنتا ـ وما زالا ـ فى الاستعمال الدارج:

فأما «قاف القراء»، فالأمر فيها واضح لا يحتاج إلى برهان، إذ إن شيوعها ـ الآن ـ على ألسنة القراء يُثبت ـ بمعيار التواتر ـ أصالة استعمالها فى قراءة القرآن الكريم.

وأما «القاف البدوية»، فممّا يُدلّ على أنها كانت تُوظَّف ـ كذلك ـ فى قراءة القرآن الكريم: ما ذكره ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) عن فقهاء أهل البيت من أنهم

---

(١) دروس فى علم أصوات العربية ص١١٠.

(٢) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٢٠٧.

(٣) انظر فى تفصيل القول فى ذلك: لغة تميم ص٥٨ ـ٦٣، ولهجة تميم ص١٦ ـ ١٧، ص٥٤ ـ٦٨.

«زعموا أنّ مَنْ قرأ فى أم الكتاب: اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التى لهذا الجيل (يقصد: القاف البدوية) فقد لحَنَ وأفسد صلاتَه»[١].

فهذا النَّصّ يشير إلى أن «القاف البدوية» كانت توظَّف - بالفعل - فى قراءة القرآن الكريم؛ وهذا مما يُثبت أصالتَها فى هذا المجال احتكامًا إلى معيار «التواتر» أيضًا.

بل يُشير النَّص - كذلك - إلى أن هناك من كان «يتعصّب» لاستعمال هذه «القاف البدوية» فى قراءة القرآن الكريم، إلى حَدّ «الزعم» بأن النطق بغيرها - والمقصود طبعًا هو قاف القراء المهموسة - يُعَدّ ضربًا من «اللحن» المفضى إلى «إفساد الصلاة».

وإزاء هذا «التعصُّب» لاستعمال «القاف البدوية» - دون قاف القرّاء المعاصرة - فى قراءة القرآن الكريم، وُجِد من يقول بنقيض ذلك تمامًا؛ فالقَسْطَلاّنى (ت٩٢٣هـ) يذكر أن شيوع القاف البدوية على ألسنة أهل البوادى قد أدَّى أن «توهّم بعضُهم أن العرب كانوا يقرأون بها (أى: بالقاف البدوية)، لكن الظاهر أن القرآن لم يُقرَأ إلا بالقاف الخالصة (= قاف القراء المعاصرة)، على ما نَقَلَه الأثباتُ متواترًا، ولو قُرِئ بالمعقودة (يقصد: القاف البدوية) لنُقِل ذلك كما نُقِل غيره، ولمّا لم يُنْقَلْ دلّ علي أنه لم يُقْرَأْ بها»[٢].

نخلص من ذلك - إذن - إلى ما سبق أن رجّحته من تزامن استعمال القافين: البدوية وقاف القراء المعاصرة فى قراءة القرآن الكريم[٣] والراجح أنه كان لكل من القافين مواطنه التى يذيع فيها.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٣/١٢٨٣ - ١٢٨٤. والمقصود بـ«الجيل» قبائل البدو. وقد ذكر د/ ضاحى عبد الباقى أن إمامًا حضرميًّا لأحد مساجد جدة (عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٥) كان يلتزم بالقاف البدوية فى قراءته، وعلّق د. ضاحى على ذلك بقوله: «فلعله شيعى». انظر: لغة تميم ص١٠٣.

(٢) لطائف الإشارات ١/١٥٨.

(٣) وانظر: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧، وعلم الأصوات ص٢٨١ - ٢٨٣.

ويبقى بعد ذلك البحث عمّا أدّى إلى غلبة قاف القراء المعاصرة تمامًا، وتاريخ حصول ذلك، وهو أمر يحتاج إلى مزيد بحث، وإلى عمل مستقلّ يُفَرد له.

١-د- التفسير الصوتي لصور القاف النطقية:

إذ سلمنا بما قرره الدرس اللغوى المقارن من أن قاف القراء المهموسة (q) تجسّد الأصل السامى القديم لفونيم القاف، فإنه يمكن تفسير ما آل إليه هذا الصوت من صور نطقية متعددة Allophones فى ضوء القول - ترجيحًا[١] بتعرضه لنوعين أساسيين من التغير: تغيُّر تعلّق بمخرجه، وآخر تعلّق بصفاته:

فأما التغير فى المخرج، فيحصل - عمومًا - «بأحد طريقين: إما بانتقال المخرج إلى الوراء، أو إلى الأمام، باحثًا الصوت فى انتقاله عن أقرب الأصوت شبهًا به من الناحية الصوتية»[٢].

وفى ضوء ذلك، يمكننا القول - ترجيحًا - بأن صوت القاف قد شهد انتقالين مخرجيين أساسيين: أحدهما للأمام، والآخر للخلف:

فانتقال القاف إلى الأمام قليلاً قد أنتج صورته النطقية التى تُشبه الكاف؛ إذ لا فرق بين قاف القراء المعاصرة (= الأصل القديم) والكاف، إلا أن تلك القاف أعمق قليلاً (= مستعلية)، مع اتفاقهما فى صفة الهمس.

وأما انتقال القاف إلى الخلف، فقد أنتج صورته النطقية المماثلة للهمزة، «فتعمُّق القاف فى الحَلْق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحَلْق ما يُشبه القاف إلا الهمزة؛ لوجود صفة الشدّة فى كلّ منهما؛ فليس غريبًا - إذن - أن تطورت القاف فى لغة الكلام عندنا إلى همزة، فليس بين أصوات الحق صوت شديد إلا الهمزة»[٣].

---

(١) تتميز التفسيرات والعلل الصوتية بأنها - فى مجملها - ترجيحية «فإننا لا نعلم عِلَلَ تغيرات النطق علمًا بيّنًا يقينًا إلا فى قليل من الحالات» على حد قول برجشتراسر (التطور النحوى للغة العربية ص٢٧).

(٢) د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧.

(٣) د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٧. وانظر - كذلك - ممن تبنوا هذا التفسير: د. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات فى اللغة ص١٢.

وقد عزا «برجشتراسر» السبب فى التحّول من النطق بالقاف إلى النطق الهمزة إلى عِلّة حضارية هى «ذوق العصر»، ذاهبًا إلى أن أهل القاهرة قد «استخشنوا» صوت القاف، و«استغلظوه» فاستبدلوا به الهمزة[1] كما ذهب «كانتينو» إلى أن اللهجات التى شاع فيها نطق القاف همزة تتميز بأنها «لهجات مدنية فى أكثرها»[2].

وقد يُعترض على ذلك - لا سيما كلام برجشتراسر - بما هو مقرَّر فى الدرس الصوتى المعاصر من أن الهمزة هى «أشقّ الأصوات»[3]؛ لما تتطلبه - لدى نطقها - من انضغاط الوترين الصوتيين انضغاطًا ثم انفراجهما. وقد كان هذا مما أدّى إلى سقوطها من معظم اللهجات العربية المعاصرة (وبعض اللهجات القديمة)، فالقول بـ«استخشان» القاهريين لصوت القاف، و«استغلاظهم» إياه، لا يسوغ معه استبدال صوت كالهمزة به.

وأما التغير الذى يتعلق بالصفات، فيتمثّل فى فقدان قاف القراء المعاصرة (= الأصل القديم) لصفة الجهر، مما أدّى إلى تولُّد الصورة النطقية المجهورة للقاف ممثَّلة فى القاف البدوية[4]:

- مع عدم حدوث تغيُّر فى المخرج - تقريبًا - إذا سلَّمْنا بأن القاف البدوية كانت مستعلية.

- ومع تزحزح محدود إلى الأمام إذا سلمنا بأن النطق البدوى المعاصر يمثل القاف البدوية.

هذا مع اتفاق قاف القرّاء وتلك البدوية فى أن كليهما وَقْفى (شديد).

ومن هذه القاف البدوية المجهورة التى شاعت لدى العرب شيوعًا، تولدتْ -

(١) انظر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٨.

(٢) دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٩.

(٣) انظر - مثلاً: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٩١، والتطور اللغوى: مظاهره ص٧٦.

(٤) وانظر: التطور النحوى للغة العربية ص٢٦، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٩.

ترجيحًا ـ الصور النطقية الأخري للقاف بحصول تغير فى الصفة، أو فى المخرج:

فالتغير فى صفة «الشدّة» ولّد القاف التي كالغين؛ إذ لا فرق بين القاف البدوية ـ خاصة تلك المستعلية ـ وبين الغين، سوى فى أن القاف البدوية وقفية (شديدة)، وأن الغين احتكاكية (رخوة).

والتغير فى المخرج بالانتقال إلى الأمام قد ولّد الصورتين النُّطقيتين الأخيرتين للقاف: تلك التى كالجيم المعطشة، والأخرى التى كالدال والزاى (دْز).

وقد سبق أن ذكرتُ أن هاتين الصورتين النطقيتين مقيدتان بقيد صوتى موقعّى، هو «مجاورة صوت لين أماميّ»؛ وهذا ما يُمكّن من تقديم تفسير صوتى لوجودهما:

فالدرس الصوتي المعاصر يقرر أن للصوائت تأثيراً ـ بالتقديم أو بالتأخير ـ على مخارج الصوامت المجاورة لها، فالصوائت الأمامية ـ مثلاً ـ تجذب مخارج الصوامت السابقة لها إلى الأمام قليلاً[1]. وقد توصّل علماء الدرس اللغوى المقارن ـ بهذا الصدد ـ إلى ما سمّوه بـ (قانون) الأصوات الحنكية Palatal Law؛ حيث لاحظوا ـ من خلال دراستهم للأصول الإغريقية واللاتينية لبعض الألفاظ الأوربية الحديثة ـ «أن أصوات أقصى الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش (كالقاف البدوية) تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين تليها فى النطق حركة أماميّة كالكسرة؛ لأن هذه الحركة الأمامية ـ فى مثل هذه الحالة ـ تجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج، أى: الجامع بين الشدة والرخاوة»[2].

(١) وانظر ـ فى تفصيل ذلك: د. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٢ ـ ٢١٤.

(٢) التطور اللغوى: مظاهره ص١٣٢. وانظر ـ كذلك: الأصالة العربية فى لهجات الخليج ص١٥٢. وانظر ـ فى تفسير تولُّد الجيم الفصيحة المعطَّشة من الجيم القاهرية فى ضوء ذلك القانون: د. أنيس: الأصوات اللغوية ص٨٠ ـ ٨٤. وانظر أمثلة لذلك من اللغات الأوربية فى: ماريوباى: أسس علم اللغة ص١٤٤ ـ ١٤٥.

فهذا - إذن - يفسّر لنا نشأة الصورتين النطقيتين الأخيرتين للقاف؛ إذ تنطبق عليهما شروط تطبيق هذا (القانون)؛ من حيث تولدهما من أحد أصوات أقصى الحنك، ومن حيث ارتباطهما - غالبًا - بمجاورة صوت لين أماميّ.

وأُشير - أخيراً - إلى أنني قد تبنيتُ هذا «التفسير الترجيحيّ المركَّب» لتوالد الصور النطقية للقاف، على أساس أن الأقرب - لدى تغير صوت إلى آخر - هو أن يكون التباين بينهما محصوراً في فرق واحد - أو كالواحد: المخرج، أو الصفة.

وعلى ذلك، فلقد رجحتُ - مثلاً - أن تغيُّر قاف القراءة المهموسة (= الأصل القديم) إلى «غين» لم يحدث مباشرة؛ وذلك لتباينهما في صفة الجهر وفي صفة الشدة كذلك، بل رجحتُ أن تكون الصورة الغينية قد تولدت من تلك البدوية المجهورة مثلها، والمباينة لها في صفة الشدَّة فحسب... إلخ.

●●●

٢. إبدال القاف

يعرف الإبدال بأنه: جَعْل حرف مكان آخر[١].

ويقسّم الإبدال: عادة إلى: إبدال صرفي، وآخر لغويّ. فأما «الصرفي»، فيختص بحروف معينة، ويتميز - في مجمله - بالاطّراد أو القياسيّة (مثلاً: إذا تحرّكت الواو، وانفتح ما قبلها، قُلبت ألفًا...).

وأما «الإبدال اللغويّ» فلا يختص بحروف معيَّنة، كما أنه غير مُطّرِد؛ ولذا فهو أعمّ من نظيره الصرفي، وذلك كقولهم: مدح ومده، والجَدف والجدَث للقبر، وغير ذلك[٢].

ومن جهة أخرى: فإن ثمة فرقًا بين الإبدال اللغوى، وبين الصور النطقية التي عرضنا لها في المبحث السابق: فهذه الأخيرة تتميز في تحقُّقها بالاطّراد: اطرادًا مطلقًا، أو اطّرادًا مقّيدًا بقيد خاص، على نحو ما فُصِّل من قبل. وأما الإبدال اللغويّ، فلا تتميز أمثلته بهذا الأطّراد، بل هي أمثلة «اتفاقية» محدّدة بعينها، و«لاقانون لحصولها» على حد قول «برجشتراسر»[٣].

وقد اهتمّ قدامى اللغويين العرب بظاهرة «الإبدال اللغويّ»: فأفردها بعضهم بمصنَّفات مستقلّة، كما فعل ابن السِّكِّيت[٤] (ت ٢٤٤هـ)، والزَّجّاجي[٥] (ت ٣٣٧هـ)، وأبو الطيب اللغويّ[٦] (ت ٣٥١هـ). وأفرد آخرون لها - أو لأمثلتها - مطالبَ أو فصولاً في أثناء مؤلَّفاتهم، كما فعل القالي[٧] ....

---

(١) انظر: الجرجاني: التعريفات ص٢١، والمُنَاوى: التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٩.

(٢) وانظر في تفصيل القول في ذلك: د. البواب: ظاهرة الإبدال اللغويّ ص١٥-٢٦.

(٣) التطور النحوى للغة العربية ص٢٧.

(٤) وذلك: كتابه: الإبدال.

(٥) وذلك: كتابه: الإبدال والمعاقبة والنظائر..

(٦) وذلك: كتابه: الإبدال.

(٧) انظر بعض «المطالب» في كتابه: «الأمالي»، كما في الصفحات التالية: ٢/ ٦٨، ٧٨، ٩٧، ١١٢، ١١٣، ١١٤ وغيرها.

(٣٥٦هـ) وابن سيده[١] (ت٤٥٨هـ) وغيرهما[٢].

وقد تباين موقفهم من شروط القول بوقوع الإبدال: فذهب فريق منهم - وعلى رأسه ابن جنى (ت٣٩٢هـ) - إلى اشتراط وجود علاقة صوتية (اتحاد المخرج أو تقاربه) بين الصوتين: المبدل والمبدل منه. في حين لم يشترط اخرون - كأبى الطيب اللغوى (ت٣٥١هـ) - ذلك، كما يتبدّى فيما أوردوه على أنه أمثلة لهذه الظاهرة.

كما أخرج فريق منهم - كابن جنى - من دائرة الإبدال تلك الأمثلة التى ورد كل منها منسوباً إلى لهجة بعينها[٣].

وأمّا المحدثون، فيلخّص موقفَهم قولُ العلاّمة الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله -: «حين نستعرض تلك الكلمات التي فُسِّرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشكّ لحظة فى أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتى. أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد، حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسِّرها على أن إحدى الصورتين هى الأصل، والأخرى فرع لها، أو تطوُّر عنها، غير أنه فى كل حالة يُشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين: المبدل والمبدل منه[٤].

فهذا يعني أن ثمة شرطين أساسين - لدى المحدثين - للقول بحصول الإبدال[٥]:

- وجود علاقة صوتية (اتحاد المخرج أو تقاربه) بين الصوتين - أو الأصوات - المظنون حصول الإبدال بينها.

---

(١) انظر: كتابه: المخصص ١٣/٢٧٤-٢٧٨.

(٢) وانظر فى تفصيل القول فى ذلك: د. البواب: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٢٦-٣٠، ود. عبد الله بو خلخال: ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب ص٣٨-٤٣.

(٣) انظر فى تفصيل القول فى ذلك: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٣٧-٤٤.

(٤) من أسرار اللغة ص٧٥.

(٥) وانظر فى تفصيل القول فى ذلك: ظاهرة الإبدال اللغوى ص٣٩-٤١، وظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب ص٤٤-٤٥.

- الاتفاق في المعنى بين الاستعمالين - أو الاستعمالات - المشتملة على هذه الأصوات.

ولا يُهِمّ - بعد - أن يكون الاستعمالان منسوبين إلى لهجتين مختلفتين، أو أن يكون أحدُهما فقط هو المنسوب، أو أن يكونا - جميعًا - بلا نسبة[1].

وأما معايير ترجيح «الأصالة» و«الفرعية» بين الاستعمالات (المبدلة) - وبالتالي أصواتها - حين تستوفي شروط القول بحصول الإبدال، فيمكن إيجازها - لدى المحدثين - فيما يلي[2]:

- ورود أحدها - دون الأُخَر - في نصوص قديمة يرجِّح أصالتَه.

- نسبة الشيوع؛ فكثرة الشواهد الخاصة بأحد الاستعمالات ترجِّح أصالتَه. وقد اهتَم ابن جني (ت٣٩٢هـ) اهتمامًا خاصًا بأحد مظاهر هذا المعيار، وهو وفرة التصرف، فالاستعمال الأعمّ تصرُّفًا (= الأوفر مشتقات مثلاً...) تَرجُح أصالُته[3].

(قوانين) التغير الصوتي، فالصوت الأصعب فونيميًّا يتغيَّر - عادةً - نحو الأيسر، وبالتالي: تُرجح أصالة الاستعمال المشتمل على هذا الأصعب[4].

وأضيف إلى ما سبق معيارًا مهمًّا - بل لعلّه من أهمها - وهو «المعيار الدلالي» الذي يمكن بيانه إجرائيًا كما يلي:

- تحييد «المعنى المتجاذَب»، ذلك الذي تأسّس عليه القول بحصول الإبدال بين استعمالين، أو أكثر.

- النَّظَر في معاني باقي استعمالات الجذرين اللذين ينحدر منهما هذان

---

(١) وانظر في تفصيل القول في هذا التقسيم للأمثلة المبدلة: من أسرار اللغة ص٧٥ - ٨٠.

(٢) انظر: من أسرار اللغة ص٧٧ - ٧٩. وانظر في تفصيل القول في ذلك: ظاهرة الإبدال اللغوي ص٤٥ - ٤٩.

(٣) انظر - مثلاً: سرّ الصناعة ١/٢٢٨.

(٤) وانظر: دراسة الصوت اللغوي ص٢٩٣.

الاستعمالان، بحيث يتأسَّس علي ذلك ترجيح أصالة الاستعمال الذى تتشابه معانى استعمالات جذره مع هذا المعنى المتجاذَب.

ويتأسَّس هذا المعيار على ما هو مقرَّر - فى العربية - من وجود وشيجة دلالية بين استعمالات الجذر الواحد، بحيث تكون هناك دلالة محوريَّة تتحقق - بشكلٍ ما - فى كل استعمالات الجذر. وهذا هو الأساس الذى بنى عليه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) معجمه «مقاييس اللغة»، وعالج - فى ضوئه - جذور اللغة الثلاثية.

فإذا ما انتقلنا - بعد - إلى فحص ما أوردته كتب الإبدال على أنه أمثلة لحصول الإبدال بين القاف وأصوات أخرى، فإننا يمكن أن نقسّم هذه الأمثلة إلى قسمين متميِّزين:

- قسم تتحقق فى أمثلته العلاقة الصوتية.

- قسم لا تتحقق فى أمثلته هذه العلاقة.

* * *

١ - أ - أمثلة تتحقق فيها العلاقة الصوتية:

هذا القسم من أمثلة إبدال القاف هو القسم الجدير بالدخول فى دائرة «الإبدال»، على ما شَرَط المحدثون وبعض القدامى، وهو ما أميل إليه كذلك.

وينهض هذا القسم - فى معظمه - على أمثلة تتناظر فيها القاف مع الكاف أوّلاً، ثم مع الغين ثانيًا[١].

وقد أفرد ابن السِّكِّيت[٢] (ت٢٤٤هـ) بابًا لإبدال القاف والكاف، وكذا فَعَل الزَّجّاجى[٣] (ت٣٣٧هـ)، وأبو الطيب اللغوى[٤] (ت٣٥١هـ). كما أفرد أبو الطيب اللغوى بابًا - كذلك - لإبدال الغين والقاف[٥].

(١) سبق التنويه بالعلاقة الصوتية الوثيقة بين القاف وكل من الكاف والغين فى المبحث الأول لدى الحديث عن التفسير الصوتى لصور القاف النطقية.

(٢) انظر: كتابه: الإبدال ص١١٣ - ١١٤.

(٣) انظر: كتابه: الإبدال والمعاقبة والنظائر ص٧٧ - ٨٢.

(٤) انظر: كتابه: الإبدال ٢ / ٣٥٣ - ٣٦٤.

(٥) انظر: الإبدال ٢ / ٣٢٨ - ٣٢٩.

وتأسيسًا على ما سَبَق ذكره من معايير ترجيح «الأصالة» و«الفرعية» في المبدلات - وعلى رأسها المعيار الدلالي - يمكننا أن نفحص بعضًا مما أوردته كتب الإبدال على أنه أمثلة لحصول الإبدال بين القاف والكاف وبين القاف والغين:

فمّما ورد من ذلك بين القاف والكاف: أزواج الاستعمالات الآتية:

(قحّ - كحّ):

قال ابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ): «قال أبو عمرو الشيباني: يقال: هو عربّي كُحّ.. أبو زيد: يقال: أعرابي قُحّ، وأعراب أقحاح، أي: مَحْض خالص»[١].

والبحث يثبت أن الدلالة على «المحوض والخلوص» أصيلة في استعمالات «قح»، كقولهم - فضلاً عن الاستعمال المذكور:

- «لئيم قُحّ»: إذا كان مُعرِقًا في اللُّؤْم.

- «عَبْد قُحّ»: إذا كان خالص العبودة...[٢] إلخ.

في حين لم يرد في «كح» إلا الاستعمال المذكور تقريبًا[٣]، فـ«قُح» - إذن - أعمّ تصرُّفًا، وأوفر استعمالات، فضلاً عن أصالة المعني المشترك فيه.

وقد اعتبر ابن جني (ت٣٩٢هـ) معيار «مقدار التصرف» فحسب، ورّجح - على أساسه - أصالة القُحّ، قائلاً: «فينبغي أن تكون الكاف في كُحّ بدلاً من قاف قُحّ؛ لأن أبا زيد حَكَى في جمعه: أَقْحاح، ولم نسمعهم قالوا: أكحاح»[٤].

---

(١) الإبدال ص١١٣. وانظر - كذلك -: إبدال أبي الطيب ٢/٣٥٧، وأمالي القالي ٢/١٣٩، وسر الصناعة ١/٢٧٩، والمخصص ١٣/٢٧٧، والمساعد على تسهيل الفوائد ٤/٢٢٩ - ٢٣٠، وشفاء العليل في إيضاح التسهيل ٣/١١١٣.

(٢) انظر: (قحح) في اللسان ٥/٣٥٣٥، والتاج ٧/٣٧.

(٣) انظر: (كحح) في اللسان ٥/٣٨٣١، والتاج ٧/٦٩ - ٧٠.

(٤) سر الصناعة ١/٢٧٩. وما ذكره عن أبي زيد الأنصاري أورده ابن السكيت - على ما مرّ - في النص المقتبس من كتابه: الإبدال.

(امتقّ ـ امتكّ):

قال ابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ): «ويقال للصبيّ والسَّخْلَة: امتكّ ما في ضَرعْ أمِّه، وامتَقّ ما في ضَرْع أمه: إذا شربه كلَّه»(١).

فاستقراء استعمالات كلٍّ من الجذرين ـ وكلاهما وافر الاستعمالات والشواهد ـ يقود إلى ترجيح أصالة هذا المعنى المتجاذَب «الاستقصاء في الشُّرْب أو المصّ» في «ملكّ»؛ إذ تدور حوله جُلّ استعمالاته، كقولهم ـ فضلاً عن الاستعمال المذكور:

ـ «امتكّ العَظْمَ»: امتصّ ما فيه من المُخّ.

ـ التسمية بـ «مكّة»: إمّا لأنهم كانوا يمتكون الماءَ فيها لقلّته، وإمّا لأنها كانت تَمُكّ (تُفنى) مَنْ ظَلَم فيها وأَلحد(٢).

وأما «مقّ»، فيبدو معنى «الاستقصاء في المص» غريبًا عليه؛ إذ تدور جُلّ استعمالاته حول معنى «الطول ـ أو الاتساع ـ الزائد»(٣)، كقولهم(٤):

ـ «وجه أَمَقّ»: طويل كوجه الجرادة.

ـ «حِصْن أَمَقّ»: واسع.. إلخ.

وإلى مِثْل هذا، أشار ابن جنى بقوله: في سياق ترجيحه لأصالة ملكّ دون مقّ في التعبير عن الاستقصاء في المص: «... وكذلك قولهم للرجل الطويل: أَمَقّ، لا نسبة بينه وبين امَتقّ في المعنى»(٥).

(قتال - كتال):

قال أبو الطيب: «يقال: ناقة ذات قَتال وكَتال: إذا كانت غليظة كثيرة اللحم»(٦).

---

(١) الإبدال ص١١٣. وانظر ـ كذلك ـ إبدال أبى الطيب ٢/٣٥٥، وأمالى القالى ٢/١٣٩، وسر الصناعة ١/٢٧٧ـ٢٧٨، والمخصص ١٣/٢٧٧.

(٢) انظر: اللسان (مكك) ٦/٤٢٤٨. وانظر ـ كذلك ـ: سر الصناعة ١/٢٧٧ـ٢٧٨.

(٣) وانظر: المقاييس (مق) ٥/٢٧٤.

(٤) انظر: اللسان (مقق) ٦/٤٢٤٤.

(٥) سر اصناعة ١/٢٧٨.

(٦) الإبدال ٢/٣٦٠.

فهذا المعنى المشترك (الغلَظ وكثرة اللحم) آصل في «كتل»، وألْبق بدلالات استعمالاته التي تدور في مجملها على «التجمع والتكتْل» كقولهم:

- «الكُتْلَة» للقطعة من الطين، واللحم، والصَّمْغ[1].

في حين يبدو هذا المعني المشترك غريبًا على «قتل» الذى تدور مجمل استعمالاته على معنى القتل المعروف: بصورته الحقيقة أو المجازية[2] وقد قرّر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) - من قبل - حصول هذا الإبدال، فقال: «...يقال: ناقة ذات قَتال: إذا كانت وثيقة. وقال بعض أهل العلم: هذا إبدال، والأصل: الكَتال، وهو يدلّ على تجمُّع الجسم، يقال: تكتَّل الشيءُ: إذا تَجَمَّع، وهذا وجه جيِّد»[3].

(قهد - كهد):

قال الزجاجّي (ت٣٣٧هـ): «ويقالك نعجة قَهْدة، وكَهْدة في لونها»[4].

فالدلالة على «اللون» أصيلة في «قهد» - دون كهد - إذ تدور حولها جُلّ استعمالاته[5] وذلك كقولهم:.

- «القَهْد» للأبيض من أولاد الظباء والبقر[6].

وأما «كهد»، فتبدو الدلالة على «اللون» غريبة عليه؛ إذ تدور جُلّ استعمالاته حول معنى «الحركة المتردّدة»[7]، كما في قولهم:

- «شيخ كَوْهَد»: إذا كان يُرْعَش من الكِبَر.

- و«اكْوَهَدّ الفَرْخُ»: إذا تحرك - مرتعداً - إلى أمه: لَتَزُقّه[8].

---

(١) انظر: اللسان (كتل) ٥/٣٨٢٢.

(٢) انظرك المقاييس (قتل) ٥/٥٦.

(٣) المقاييس (قتل) ٥/٥٧.

(٤) الإبدال والمعاقبة والنظائر ص٧٨..

(٥) وانظر: المقاييس (قهد) ٥/٣٥

(٦) انظر: (قهد) في اللسان ٥/٣٥٦٤، والتاج ٩/٨٢.

(٧) وانظر: المقاييس (كهد) ٥/١٤٣.

(٨) انظر: (كهد) في الصحاح ٢/٥٣٣، واللسان ٥/٣٩٤٥، والتاج ٩/١٢١-١٢٢.

(قهر ـ كهر):

قال الزجاجى (ت٣٣٧هـ): «والقَهْر والكَهْر. قال الله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر. وقرأ ابن مسعود: فلا تكهر[١]».

ذهب بعض العلماء إلى اعتداد الكاف فى قراءة «تكهر» وحدة فونيمية، لاصورة صوتية Allophone للقاف، على أن يكون ذلك من قولهم: كَهَر فى وجهه»: إذا عَبَس. وممن قال بذلك: أبو حاتم السجستانى[٢] (ت٢٥٥هـ)، وأبو جعفر النحاس[٣] (ت٣٣٨هـ)، وأبو الطيب اللغوى[٤] (ت٣٥١هـ).

فى حين ذهب آخرون إلى اعتداد الكاف فى هذه القراءة صورة صوتية للقاف؛ فتكون «تكْهر» مبدلة من «تقهر ـ أو لغة فيها ـ وممن قال بذلك: أبو حبان الأندلسى[٥] (ت٧٥٤هـ).

وما أرجِّحه هو الرأى الثانى؛ إذ يغلب أن يكون المقصود بالآية هو النَّهْى عن «قَهْر» اليتيم، بمعنى قَسْره على مالايريد، أو «اغتصاب» حقوقه كَرْهًا، استغلالاً ليُتْمه، وإعوازه المُرتَكن[٦] وهذه المعانى أصيلة فى استعمالات «قهر»[٧].

وأما «الكَهْر» ـ بمعنى العبوس فى الوجه ـ فلا يبدو أنه المقصود بالنَّهْى، إذ إن العبوس ـ أو الزَّجْر ـ يكون ـ أحيانًا ـ مما تتطلّبه التربية، والتنبيه على ما لا يسوغ فِعْله، ونحو ذلك.

---

(١) الإبدال والمعاقبة والنظائر ص٧٨ ـ ٧٩. وانظر ـ كذلك ـ إبدال ابن السكيت ص١١٤، وإبدال أبى الطيب ٢/٣٥٦، وأمالى القالى ٢/١٣٩، والمخصص ١٣/٢٧٧. والآية المذكورة من سورة الضحى ٩٣/٣. وقراءة سيدنا ابن مسعود المذكورة موجودة بهذه النسبة فى: ابن خالويه: مختصر فى شواذ القرآن ص١٧٥، والزمخشرى: الكشاف ٤/٢٢٠، وابن عطية: المحرّر الوجيز ١٥/٤٩٢، والسمين الحلبى: الدّر المصون ١١/٤١، والقرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠٠، وابو حيان: البحر المحيط ٨/٤٨٦.

(٢) انظر: المحرّر الوجيز ١٥/٤٩٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠٠، ولم أجد رأى النحاس فى كتابه: إعراب القرآن ٥/٢٥٠.

(٤) انظر: الإبدال ٢/٣٥٦.

(٥) انظر: البحر المحيط ٨/٤٨٦.

(٦) وانظر: الفراء: معاني القرآن ٣/٢٧٤.

(٧) وانظر: المقاييس (قهر) ٥/٣٥.

(قشط ـ كشط):

قال ابن السِّكِّيت (ت٢٤٤هـ): «وقد قَشَطت عنه جِلْدَه، وكَشَطت. قال: وقريش تقول: كُشِطتْ، وقيس وتميم وأسد تقول: قُشِطت. وفي مصحف عبدالله بن مسعود: قُشِطت بالقاف»(١).

يصعُب ـ هاهنا ـ القَطْع بأصالة أيٍّ من الجذرين؛ إذ تكاد تتطابق استعمالاتهما(٢) إلا أن الاحتكام إلى معيار «وفرة الاستعمالات والشواهد» ربما ترجح أصالة «كشط».

فمن الاستعمالات التي وردت في «كشط»، ولم يرد لها نظير في استعمالات «قشط».. وإن كانت من نفس جنس المعنى المشترك بينهما:

- «تكشّط السحاب»: تقطّع وتفرّق.
- «انكشط رَوْعُه»: ذهب(٣).

(ساق ـ ساك):

قال الزَّجّاجي (ت٣٣٧هـ): «وساق الحمار يسوقه سوقًا، وساكه يسوكه سوقًا»(٤).

---

(١) الإبدال ص١١٤. وانظر ـ كذلك: إبدال الزجاجي ص٧٩، وأمالي القالي ٢/١٣٩، والمخصص ١٣/٢٧٧. والضمير في قول ابن السكيت: «قال: وقريش..» يرجع إلى الفرّاء (ت٢٠٧هـ). انظر: سر الصناعة ١/٢٧٧، ففيه الكلام بنصه منسوبًا للفرّاء، وليس الشأن بهذا التفصيل اللهجي في كتابه: معاني القرآن ٣/٢٤١.

وجزء الآية المذكور هو من قوله تعالى: «وإذا السماء كُشِطت» التكوير ٨١/١١.

وقراءة سيدنا ابن مسعود (قُشِطت) مذكورة بهذه النسبة في: معاني القرآن ٣/١٤١، وابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن ص١٦٩، والزمخشري: الكشاف ٤/١٨٩، وابن عطية: المحرّر الوجيز ١٥/٣٣٧، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٣٥، وأبو حيان: البحر المحيط ٨/٤٣٤، والسمين الحلبي: الدر المصون ١٠/٧٠٥.

(٢) انظر: اللسان (كشط) ٥/٣٨٨٢ ـ ٣٨٨٣، والنهاية ٤/١٧٦، والتاج (كشط) ٢٠/٥٩ ـ ٦١، واللسان (قشط) ٥/٣٦٣٧، والتاج (قشط) ٢٠/٣٤.

(٣) انظر: اللسان (كشط) ٥/٣٨٨٣، والنهاية: ٤/١٧٦. (٤) الإبدال والمعاقبة والنظائر: ص٧٧.

فالدلالة على «الحَدْو» أصيلة فى «سوق»؛ إذ تدور حولها مجملُ استعمالاته كقولهم ـ فضلاً عن الاستعمال المذكورَ:

ـ «السُّوق» لموضع البياعات[1]؛ وذلك «لما يُنساق إليها من كل شىء»[2].

ـ و«الساق»: ساق الإنسان وغيره؛ «لأن الماشى ينساق عليها»[3].

فى حين يبدو معنى «الحدْو» غريبًا على استعمالات «سوك» (ساك الشىء. دَلَكه، والسِّواك: ما يُدلَك به الفم من العيدان...)[4].

ومما ورد من أمثلة لحصول الإبدال بين القاف والغين: ما يلى:

(أقلف ـ أغلف)

قال أبو الطيب: «غلام أَغْلَف وأَقْلَف: إذا لم يُختَن، واسم الذى يقطعه منه الخاتن: الغُلْفة والقُلْفَة»[5].

والذى أرجحه أن المعنى المتجاذَب ـ هاهنا ـ أقرب إلى استعمالات «قلف»؛ إذ يدور جُلّها حول «القشرة التى تَغشى الشىء (وكَشْطها)»،[6] كقولهم:

ـ «القِلْف» لِقشر الرُّمّان.

ـ و«قَلَف الشجرة»: إذا نزع عنها لِحاَءها[7].

ـ ومن ذلك: الاستعمال المذكور فى نص أبى الطيب، وهو «القُلْفَة»، بمعنى: «جِلْدة الذَّكَر التى أُلبِسَتْها الحَشَفة... وقَلَفها الخاتُن: قَطعها»[8].

(١) انظر: اللسان (سوق) ٣/٢١٥٤.
(٢) انظر: المقاييس (سوق) ٣/١١٧.
(٣) المقاييس (سوق) ٣/١١٧.
(٤) انظر: اللسان (سوك) ٣/٢١٥٦.
(٥) الإبدال: ٢/٢٣٨.
(٦) وانظر: المقاييس (قلف): ٥/٢٣.
(٧) انظر (قلف): فى المقاييس ٥/٢٣، واللسان ٥/٣٧٢٥.
(٨) اللسان: ٥/٣٧٢٥.

وأما «غلف»، فتدور جُلّ استعمالاته حول معنى «غشاوة شيء لآخر»[1]، كـ «غلاف» السيف، والسكين، والقارورة[2].

وعلى الرغم من أن «جِلْدَة الذَّكَر» الموصوفة تُشبه أن تكون «غلافًا»، فإن الأليق هو أن تكون تسميتها (الحقيقية) هي «القُلْفة»، لا «الغُلْفة»؛ لأن «القُلْفة» تكون «قِشرة» للشيء، أي أنها تكون من نفس جنسه ـ وكذلك هذه الجلْدة ـ وأما «الغلاف»، فهو مجرّد ساتر، وليس من شَرْطه أن يكون من جنس ما يستره.

(قمز ـ غمز):

قال أبو الطيب: «الغَمَز من الناس والقَمَز: الرُّذَال ومَنْ لا خير فيه، وكذلك من المال»[3].

فاستقراء استعمالات الجذرين (قمز ـ غمز) يقود إلى ترجيح أن المعنى المتجاذَب ـ هنا ـ أقمن بالانتساب إلى «قمز»؛ إذا تدور جُلّ استعمالاته في فلك الدلالة على «الضآلة» أو «التجمعات الضئيلة»، كقولهم:

ـ «رأيت الكلأ قُمَزًا قُمَزًا»، أي: متفرّقًا: لُمعة هنا، وأخرى هناك

ـ و«القُمْزَة»: بُرْعوم النبت الذى تكون فيه الحَبّة، وهى ـ كذلك ـ القبضة من التمر، والحصى، والتراب[4].

ومن هنا، جاء الوصف بـ «القَمَز» بمعنى: الرُّذَال من الناس والمال (= الإبل)؛ إذ المقصود بـ «الرُّذولة» ـ غالبًا ـ هو الوصف بـ «ضآلة الجثة» وقلّة الغَناء؛[5] فهذه ضآلة حسيَّة ربما تقود ـ كذلك ـ إلى ضآلة معنوية؛ والدلالة على الضآلة هى من صميم دلالات استعمالات «قمز»، كما بُيِّن.

---

(١) انظر: المقاييس (غلف): ٤/٣٩٠. (٢) انظر: اللسان (غلف) ٥/٣٢٨٢.

(٣) الإبدال: ٢/٣٢٨.

(٤) انظر: (قمز) فى اللسان: ٥/٣٧٣٧، والتاج: ١٥/٢٨٩ـ٢٩٠.

(٥) وانظر: اللسان (رذل): ٣/١٦٣٢ـ١٦٣٣.

وأما «غمز»، فتدور جُلّ استعمالاته حول معنى «النَّخس أو الضغط»[1]. كما في قولهم:

- «غَمَزَ الناقة»: إذا وضَعَ يدَه على ظهرها، لينظر أبها شحم أم لا.

- «غَمَزت المرأةُ ضفائر شعرها»: إذا كبستها باليد (عند الغسل)[2].

فليس في استعمالات «غمز» ما يُدلّ على الضآلة الحسيَّة، وإنما فيها ما يُدلّ على حصول عَيْب «يُنخَس» به المغموز، وهذا هو قولهم: «ليس في فلان مَغْمَز»، أي: ليس فيه «ما يُغْمزَ فيعاب به، ولا مطعن»[3]، فهذه دلالة معنوية على العيب عامة، لا على عيب بعينه خاصة، فالمعنى المتجاذَب إذن - وهو الضآلة وقلة الغنَاء - أقمن بالانتساب إلى «قمز»، لا إلى «غمز».

* * *

٢.ب. امثلة لا تتحقق فيها العلاقة الصوتية:

ينهض هذا القسم - في معظمة - على أمثلة انفرد بها أبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ). وهى أمثلة تعوزها العلاقة الصوتية (اتحاد المخرج أو تقاربه)، وذلك مثل ما أورده من أمثلة فى الأبواب الآتية:

- الباء والقاف[4].
- التاء والقاف[5].
- الدال والقاف[6].
- السين والقاف[7].
- القاف واللام[8].
- القاف والنون[9]... إلخ.

---

(١) وانظر: المقاييس (غمز): ٤/ ٢٩٤، والمفردات ص٦١٤-٦١٥.

(٢) انظر: اللسان (غمز): ٥/ ٣٢٩٦، والنهاية: ٣/ ٣٨٥٠.

(٣) انظر: اللسان: (غمز) ٥/ ٣٢٩٧.

(٤) الإبدال: ١/ ٣٠.

(٥) الإبدال: ١/ ١٣٨.

(٦) الإبدال: ١/ ٣٨٤

(٧) الإبدال: ١/ ٢٠٣.

(٨) الإبدال: ١/ ٣٦٥

(٩) الإبدال: ١/ ٣٦٩.

وقد تبيَّن لي من خلال فحص هذه الأمثلة، أنها تخرج ـ في جمهورها ـ من دائرة الإبدال إلى دائرة الترادف[1] أو شبه الترادف[2] near synonymy إذ تبيَّن ـ بالبحث ـ أصالةُ المعنى التجاذَب في كلٍّ من جذرى الاستعمالين المزعوم حصول الإبدال بينهما، وذلك مما ينفى ـ فضلاً عن إعواز العلاقة الصوتية ـ مَظِنَّة الإبدال، ويؤكِّد اقتصار القول بالإبدال على تلك الأمثلة التى تتميز بأن المعنى المتجاذَب أصيل فى بعضها، ودخيل فى نظائرها، فضلاً عن أنها تتوزَّع مخارج صوتية واحدة، أو متقاربة، كما مّر.

فمن تلك الأمثلة التي أوردها أبو الطيب: أزواج الاستعمالات الآتية:

(ابتسر ـ اقتسر):

قال أبو الطيّب ـ نقلاً عن الفرّاء (ت٢٠٧هـ): «الفَرّاء: يقال: ابتسرته ابتساراً، واقتسرته اقتساراً؟: إذا استكرهته»[3].

فمعنى «الاستكراه» أصيلٌ فى استعمالات كلٍ من الجذرين (بسر ـ قسر) مع اختلاف صورته فى كلٍ:

- **ففى «بسر»، تتمثل صورة الاستكراه فى «أخذ الشىء قبل أوانه»(٤)، كما فى قولهم:**

ـ «بَسَرَ غريمَه»: إذا تقاضاه قبل محلّ المال.

---

(١) وانظر: ظاهرة الإبدال اللغوى ص١٣٦.

(٢) يميِّز المحدثون عادة بين نوعين أساسيين من الترادف هما: الترادف المطلق أو التام، وشبه الترادف أو الترادف الفضفاض. فالأول (التام) يُشترط للقول بوقوعه حصول اتفاق تام فى المعنى الأساسى والمعانى الهامشية، مع القابلية للتبادل فى كل السياقات الممكنة؛ وهو لهذا نادر الوقوع. وأما الثانى: فيكفى للقول بوقوعه حصول تقارب كبير فى المعنى، مع القابلية للتبادل فى بعض السياقات، وهذا النوع الأخير من الترادف هو النوع الشائع، وتدخل معظم المترادفات فى نطاقه.

وانظر فى تفصيل القول فى ذلك: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص٢٢٠ ـ ٢٣١.

(٣) الإبدال: ١/٣١.

(٤) انظر: المقاييس (بسر): ١/٢٤٩، والمفردات ص١٢٢.

ـ و« بَسَرَ الدُّمَّلَ » : إذا عصره قبل أن يتقيَّح[1] (قبل نضجه) .

• **وفى « قسر » تتمثل صورة الاستكراه فى « القهر على غير الإرادة »[2]، كما فى قولهم:**

ـ « قَسَره على الأمر واقتسَره » : إذا أكرهه عليه .

ـ و« القَسْوَرَة » للعزيز يقتسر غيره، أى : يقهره[3] .

(يحرف ـ يقرف):

قال أبو الطيِّب : « يقال : هو يحرِف لعياله حَرْفًا، ويقرِف لهم قَرْفًا، أى : يكسب »[4] .

فالدلالة على « الكَسْبَ » أصيلة فى كلا الجذرين (حرف ـ قرف) :

• **ففى « حرف »، نجد قولهم:**

ـ « الحِرفة » . . اسم من الاحتراف، وهو الاكتساب، يقال : هو يحرِف لعياله ويحترف . . بمعنى يكتسب من هاهنا وهاهنا »[5] .

ـ واشتقاق ذلك من « حَرْف الشىء »، وهو جانبه وناحيته، فـ« الحِرْفى » يكتسب ـ ويحصِّل ـ « حَرْفًا » من هنا، وآخر من هناك « يكتسب من هاهنا وهاهنا »[6] شيئًا فشيئًا .

• **وفى « قرف »، نجد قولهم:**

ـ « اقترف المال : اقتناه، والقِرْفَة : الكَسْب »[7] .

---

(١) انظر: اللسان: (بسر) ١ /٢٧٩ .

(٢) وانظر: المقاييس (قسر) ٥ /٨٨، والمفردات ص٦٧٠ .

(٣) انظر: اللسان (قسر: ٥ /٣٦٢٣ .

(٤) الإبدال : ١ /٣٠٤ .

(٥) اللسان: (حرف) ٢ /٨٣٩ .

(٦) انظر: اللسان (حرف) ٢ /٨٣٨ .

(٧) اللسان (قرف) ٥ /٣٦٠٠ .

واشتقاق ذلك من «القَرْف» بمعنى: كشْط قِشرة الشيء (كقشرة القرحة)[1]، فعملية «القَرْف» - هذه - تقتضى كَشْط القِشرة - وهى طبقة رقيقة - شيئًا فشيئًا؛ وكذلك: الكَسْب، يحصل - عادة - بالاحتياز شيئًا فشيئًا، كما يفعل التجار ونحوهم.

وقريب من استعمال «القَرْف» - وهو بمعنى قشر القرحة ونحوها - فى معنى الاكتساب: استعمال «الجَرْح» فى المعنى نفسه[2].

(أحتر - أقتر):

قال أبو الطيب: «ويقال: قد أَحْتَر على عياله الإنفاقَ، وأَقْتَرَ عليهم: إذا ضيَّق وقلَّل، وهو الإحتار والإقتار، وحتَّر وقتَّر»[3].

فهذه الدلالة المتجاذَبة أصيلة فى استعمالات كلٍ من الجذرين (حتر - قتر) مع اختلاف الصورة أو الاعتبار:

• ففى «حتر»، تتمثل صورة «التضييق» فى معنى «الكف عن الامتداد واللانبساط» المتحقق فى مجمل استعمالات الجذر، كقولهم:

- «حَتار الغِرْبال» لإطاره[4]، وهو حَدّه الذى يُحيط به وينُهى امتداده (يكُفّه). وكذلك الشأن فى قولهم: «حَتار العين» لحروف أجفانها التى تلتقى عند التغميض، و«حَتار الأذن» لِكفاف حروف غراضيفها.

- ومن ذلك، اشتُقّ الاستعمال المذكور فى نصّ أبى الطيب: أَحْتَر على عياله، أى: ضيّق عليهم، ولم «يتوسّع» فى الإنفاق.

• وفى «قتر» تضييق ممثل فى ملمح «القِلة» المتحقق فى كثير من استعمالات الجذر:

---

(١) انظر: اللسان (قرف) ٥/٣٥٩٩-٣٦٠٠.

(٢) انظر: اللسان (جرح) ١/٥٨٧.

(٣) الإبدال: ١/٣٠٥.

(٤) انظر: اللسان (حتر) ٢/٧٦٩.

ـ قلّة حجم، كما في قولهم: «قُتْرة الصائد» لجُحْره الضيِّق الذى يستتر فيه للصيد، وكما في قولهم: «القاتر» لأصغر السروج الذى لا يستقدم ولا يستأخر على ظهر البعير[1].

ـ أو قِلّة مسافة، كما في قولهم: «قَتَّر متاعَه»: إذا أدنى بعضَه من بعض[2].

فمن ذلك، اشتُقّ قولهم: «أَقْتَر على عياله» إذا ضيّق عليهم (= قلّل مقدار النَّفقة).

(قزع. مزع):

قال أبو الطيب: «ويقال مرّ الفرسُ يقزَع قزْعًا، ويمزَع مزْعًا: إذا مرّ مرًّا سريعًا»[3].

فالدلالة على «المرّ السريع» أصيلة في استعمالات كلٍ من الجذرين (قزع ـ مزع) مع اختلاف الصورة، أو في الوجه الاشتقاقى المُعتَبر:

ـ ففى «قزع»، تتمثل صورة المرّ السريع في العدو الذى يُشبه «الطَّفْر»، وهذه هى دلالة الاستعمال المذكور في نَصّ أبى الطيب[4] ومن ذلك أيضًا قولهم:

ـ «القَزَع»: السحاب المتفرِّق.

ـ «قزّع رأسَه»: حلَقه، وترك في مواضع منه الشعر متفرِّقًا[5].

فـ «الطَّفْر» يتمثّل ـ هاهنا ـ في عدم الاطّراد: قطعة من السحاب هنا وأخرى هناك، وقُزعة من الشعر في جانب من الرأس، وأخرى في جانب آخر.

ـ وفى «مزع» دلالة ـ كذلك ـ على المرّ السريع، كما في نصّ أبى الطيب[6] ووجه اشتقاق ذلك من دلالة استعمالات الجذر على «الانفصال والتسّيب»، كما في قولهم:

---

(١) انظر: المقاييس (قتر) ٥/٥٥، واللسان (قتر) ٥/٣٥٢٦.

(٢) انظر: اللسان (قتر) ٥/٣٥٢٦.

(٣) الإبدال: ٢/٣٦٨.

(٤) وانظر: المقاييس (قزع) ٥/٨٤، واللسان (قزع) ٥/٣٦٢١.

(٥) انظر: اللسان (قزع): ٥/٣٦٢١

(٦) وانظر: اللسان (مزع): ٦/٤٩١٣.

- «مزَع القطن»: نَفَشه[1] (فصَل بعضَه عن بعض وخفّف كثافته).

- «مزّع اللحم»: فرّقه[2].

فمن هذا «الانفصال والتسيب» جاءت الدلالة على «المرّ السريع» للفرس (انطلاق واسترسال وخِفّة في العَدْو).

(نشب ـ نشق):

قال أبو الطيب: «اللِّحْياني: يقال نَشِبَ في حِباله ينشَب، ونَشِق في حباله ينشَق، بمعنى واحد»[3].

فهذه الدلالة المشتركة أصيلة في استعمالات كلٍ من الجذرين (نشب ـ نشق):

- **ففي «نشب»، نجد دلالة على «الاشتباك وعدم التخلص»، كما في الاستعمال المذكور، وكما في قولهم:**

- «النَّشَب» للمال الأصيل من الناطق والصامت[4] (ثابت لا يكاد ينتقل).

- **وفي «نشق» نجد دلالة على «الدخول مع تغلغل»، كما في الاستعمال المذكور في نص أبي الطيب، وكما في قولهم:**

- «النُّشْقة» للحلقة تُشَدّ بها الغنم.

- و«النَّشوق» للدواد ـ ونحوه ـ يُصَبّ في الأنف[5] (= يتغلغل فيه).

فمن اعتبار «الاشتباك وعدم الخلوص» في «نشب»، واعتبار «الدخول مع تغلغل» في نشق» تأتّى الاستعمال المذكور في نص أبي الطيب (نَشِبَ في الحِبَالة ونَشِقَ).

●●●

(١) وانظر: اللسان (مزع): ٦/٤٩١٣.

(٢) انظر: المقاييس (مزع) ٥/٣١٨، واللسان (مزع) ٦/٤٩١٣.

(٣) الإبدال ١/٣٠.

(٤) انظر: اللسان (نشب) ٦/٤٤٢٠.

(٥) انظر: اللسان (نشق) ٦/٤٤٣١ ـ ٤٤٣٢.

٣. تأثير القاف في مجاوراتها

يتبيَّن من دراسة بعض الاستعمالات اللغوية التي اشتملتْ - فيما اشتملتْ على صوت القاف، وتنوعت الصور النطقية للأصوات المجاورة لها - يتبيَّن أن للقاف التأثير الأساسّي في تحقُّق هذه الصور النطقية. ويتبيَّن - كذلك - أن مناط هذا التأثير مؤسَّس - في المقام الأول - على اتصال القاف بصفة التفخيم مع الجهر، أو مع الهمس.

فأمّا الجهر والهمس، فقد سبق أن ذكرتُ أن القاف البدوية الشائعة تتصف بالجهر، في حين تتصف القاف التميمة الأقلّ شيوعًا بالهمس، وقد رجحتُ أن هذه الأخيرة هي نفسها قاف القراء المعاصرة[1].

وأما التفخيم[2]، فقد عدّ ابن الجَزَرى (ت٨٣٣هـ) الأصوات المستعلية - ومنها القاف - هي الأصوات المفخّمة في العربية؛ فقال: «والاستعلاء من صفات القوة، وهي (أي: حروف الاستعلاء) سبعة، يجمعها قولُك: قِظْ خص ضغط، وهي حروف التفخيم على الصواب... وقيل: حروف التفخيم هي حروف الإطباق، ولا شك أنها أقواها تفخيمًا»[3].

ويتفق المحدثون - مع القدامى - في تقرير أن لصوت القاف «قيمة تفخيمية»، بيد أن المحدثين يصنفونه - وكذلك الخاء والغين - في زمرة الأصوات المفخَّمة «تفخيمًا

---

(١) انظر الحديث المفصل عن ذلك في المبحث الأول لدى الحديث عن كلٍ من القاف البدوية، وقاف القرّاء.

(٢) يُعَرّف التفخيم بانه «نطق الحرف سمينًا أو غليظًا يمتلىء الفم بصداه». المختصر في أصوات اللغة العربية ص٢٢٧.

(٣) النشر في القراءات العشر ١/٢٠٢-٢٠٣. وانظر - كذلك - لطائف الإشارات ١/١٩٨. وانظر في تفصيل القول في المواضع التي تحكم درجة تفخيم جملة هذه الأصوات: التمهيد في علم التجويد ص١١٩-١٢٠. وانظر في التعليق على كلام القدماء في هذا الصدد: مناهج البحث في اللغة ص١٨٧.

جزئيًا»، وذلك فى مقابل الأصوات الكاملة التفخيم (ص - ض - ط - ظ)، وتلك التي تتراوح بين التفخيم والترقيق حسب قيود موقعية صوتية (ر - ل)[1].

وتفسير ذلك هو أن «التفخيم الكامل» يسبِّبه ارتفاعُ مؤخَّر اللسان تجاه مؤخَّر الحنك اللين، مع تراجع مؤخَّر اللسان - كذلك - إلى الخلف نحو الحلق؛ فهذه الحركات العضوية «تغيِّر من شكل حجرات الرنين بالقدر الذى يعطى الصوت هذه القيمة التفخيمية»[2]. وأما لدى نطق القاف فإن النقطة التى يقترب فيها مؤخَّر اللسان من الجدر الخلفى للحلق تكون فوق تلك التى يحدث عندها الاقتراب لدى نطق الأصوات الكاملة التفخيم؛ ولذا فإن القاف تُفخَّم، ولكنه تفخيم جزئى، فى مقابل التفخيم ا لكامل لأصوات الصاد والضاد والطاء والظاء[3].

وقد سبق أن أوردت - آنفًا - كلام ابن الجَزَرى عن أن الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ) أكثر تفخيمًا من تلك المستعلية فقط (خ - غ - ق)، بما يتطابق - تقريبًا - مع كلام المحدثين.

ولا يُلَتفت - هاهنا - إلى وجود تباين - فى صفتى الجهر/ الهمس - بين القاف المجهورة التى وصفها القدماء (= القاف البدوية الشائعة)، وتلك المهموسة التى يتحدث بشأن تفخيمها المحدثون (= قاف القراء = القاف التميمية)؛ إذ المعَّول عليه - هنا - هو كيفية النطق (ارتفاع مؤخَّر اللسان تجاه اللهاة أو مؤخَّر الحنك اللين...)؛ فهى السبب - لاصفة الجهر أو الهمس - فى إحداث التفخيم، وهذه الكيفية واحدة - تقريبًا - فى نطق القافين، على ما بُيِّن فى المبحث الأوّل.

ونستطيع - بعد - أن نقف على شطر من الأمثلة التى يتجلى فيها - على نحو

(١) انظر: دراسة الصوت اللغوى ص٣٢٥ - ٣٢٦، ود. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٥ - ٢١٦. وانظر - كذلك: دروس فى علم أصوات العربية ص١٠٧.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص١١٦. والنظر - كذلك - د. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٤.

(٣) انظر: مناهج البحث فى اللغة ص١٢٤ - ١٢٥.

مطرد أو شبه مطرد - تأثير القاف فى مجاوراتها، بسبب من اتصافها بصفة التفخيم مصحوبةً بالجهر، أو بالهمس.

ولعلّ أوضح مَجْلًى لهذا التأثير هو ما يصادفنا فى كتب اللغة - وعلى رأسها كتب الإبدال والمعاجم والفصول المخصصة لدراسة أصوات العربية - من تلك الصور النطقية Allophones المتعددة لاستعمالات بعض الجذور المشتملة على أحد الأصوات الصفيرية Sibilants (س - ص - ز) متلُوةً - مباشرة أو بفاصل - بالقاف.

ففى هذا الصدد، نصادف مجموعات ثلاثية - أو ثنائية - تتميَّز بما يلى:

- اشتمال كل منها على صوت القاف مسبوقًا بصوت صفيرىّ، ومتلّواً - أو مسبوقًا - بصوت ثالث غير محدَّد.

- اتفاق كل «مجموعة» منها فى المعنى اتفاقًا تامًّا.

وذلك مثل: «السَّقْر» و«الصقر» و«الزقر»، ومثل: «السُّقعْ» و«الصُّقع» - بمعنى الناحية - وغيرها ما سيُعرض له بالتفصيل لاحقًا.

ويشير القدماء - هنا - إلى وجود خصيصتين لهجيتين تعامليتين (مطردتين) تتعلقان بهذا الشأن:

الأول: إبدال السين صاداً إذا وقعت قبل القاف - وسائر الأصوات المستعلية - سواء أكان ثمة فاصل، أم لم يكن.

الثانية: إبدال السين زايًا قبل القاف خاصة.

* * *

٣ـ أـ (إبدال) السين صاداً قبل القاف ...

ورد هذا المسلك «التعاملي» في كتب القدماء: منسوباً تارة لبني العَنْبر ـ من بني تميم[١] وتارة أخرى دون نسبة، وكأنه مسلك صوتي «تعاملي» عامّ لا تختص به لهجة دون أخرى[٢].

فممن نسب ذلك إلى بني العنبر ـ وهو الرأي الراجح[٣]: سيبويه (ت١٨٠هـ)، حيث عقد في كتابه باباً بعنوان: «هذا باب ما تُقلَب فيه السين صاداً في بعض اللغات»، جاء فيه: «تقلبها (أي تَقلِب السينَ) القافُ إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صُقت وصبقت... والخاء والغين بمنزلة القاف ... وإنما يقولها من العرب بنو العنبر»[٤] ويقول أبو حيان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ): «وتُبدل الصاد من السين جوازاً على لغة بني العنبر، إنْ وليها غينُ، أو خاء، أو قاف، أو طاء، تقول في: سَغَبَ، وسخَّر، وسَقَر، وسَطَع: صَغَب، وصَخّر، وصَقَر، وصَطَع. فإن فصل حرف نحو: أسبغ، أو حرفان نحو: السِّراط، أو ثلاثة نحو: مساليخ، فكذلك؛ تقول: أصْبغَ، والصراط، ومصاليخ»[٥].

وممن أورد هذا المسلك الصوتي التعاملي دون تخصيص لهجيّ: المبِّرد[٦] (ت٢٨٥هـ)، وابن السَّراج[٧] (ت٣١٦هـ)، وابن جني[٨] (ت٣٩٢هـ)، وابن السِّيد البَطَلْيَوْسِي[٩] (ت ٥٢١هـ)، وابن عصفور[١٠] (ت٦٦٩هـ)، والرضي

---

(١) وانظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(٢) وانظر: ليتمان: بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي ص١٧، ودروس في علم أصوات العربية ص٧٣، ود. أنيس: في اللهجات العربية ص١٢٨، وغالب المطلبي: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ص٩٢، ود. ضاحي عبد الباقي: لغة تميم: دراسة وصفية تاريخية ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٣) انظر: لغة تميم ص١٥٣ ـ ١٥٤، ولهجة تميم ص٩٢.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

(٥) ارتشاف الضَّرَب ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥. وانظر ـ كذلك ـ المساعد على تسهيل الفوائد ٤/ ٢٢٦.

(٦) انظر: المقتضب: ١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٧) انظر: الأصول في النحو ٣/ ٤٣١.

(٨) انظر: سر الصناعة ١/ ٢١١ ـ ٢١٢، و٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٩) انظر: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(١٠) انظر: الممتع: ١/ ٤١٠ ـ ٤١١.

الاستراباذى[1] (ت٦٨٦هـ)، والسِّلْسيلى[2] (ت٧٧٠هـ). يقول ابن جنى - مثلاً -: «وإذا كان بعد السين غين، أو خاء، أو قاف، أو طاء، جاز قَلْبُها صادًا»[3].

وتقتضى هذه الخصيصة الصوتية التعاملية - حسب ما سبق - أن تكون السين هى الأصل فى الاستعمال، ثم تُبَدل إلى صاد جوازًا، إذا وقعتْ قبل أحد الأصوات المستعلية: إما فى لهجة بنى العنبر خاصة - على ما هو الراجح - أو العرب عامة. **بيد أن ثَمة رأيًا يُسوِّى فى ذلك بين أن تكون السين هى الأصل، فتُنطق صادًا، أو أن تكون الصاد هى الأصل، فتنطق سينًا**؛ يقول الفارابى (ت٣٥٠هـ) - مثلاً -: «السَّقْر: لغة فى الصقر، وكذلك يفعلون فى الحرف إذا كانت فيه الصاد مع القاف»[4].

* * *

٣- ب- (إبدال) السين (والصاد) زايًا قبل القاف:

وردتْ تلك الخصيصةُ منسوبةً إلى قبلية «كلب» - إحدى قبائل قضاعة الكبيرة[5] تارة، وتارة أخرى غير منسوبة، وكأنها مسلك عام:

فممن نسَّبها: ابن جنى (ت٣٩٢هـ)، وذلك فى قوله: «وكَلْب تقلب السين قبل القاف خاصة زايًا، فيقولون فى سَقْر: زَقْر، وفى (مسَّ سَقَر): (مسَّ زَقَر)، وشاة زَقْعاء فى صَقْعاء»[6]. وكذلك صَنَع ابن يعيش[7] (ت٦٤٣هـ)، والرضى الاستراباذى[8] (ت٦٨٦هـ)، وأبو حيان الأندلسى[9] (ت٧٥٤هـ).

---

(١) انظر: شرح الشافية: ٣/ ٢٣٠ - ٢٣١.
(٢) انظر: شفاء العليل فى إيضاح التسهيل ٣/ ١١٢.
(٣) سر الصناعة ١/ ٢١١ - ٢١٢.
(٤) ديوان الأدب ١/ ١٠٨. وانظر - كذلك - المزهر ١/ ٤٧٣.
(٥) وانظر: جمهرة أنساب العرب ص٤٥٥ - ٤٥٩.
(٦) سر الصناعة ١/ ١٩٦. والآية المذكورة فى النص هى من سورة القمر ٥٤/ ٤٨.
(٧) انظر: شرح المفصل: ١٠/ ٥٢.
(٨) انظر: شرح الشافية: ٣/ ٢٣٣.
(٩) انظر: ارتشاف الضَّرَب: ١/ ٣٥٢.

ويشير المثال الأخير الذى أورده ابن جنى (صَقْعَاء - زَقْعاء) إلى انسحاب خصيصة القلب إلى زاى قبل القاف على الصاد أيضاً - فضلاً عن السين - وقد صرَّح ابن عصفور بذلك نصاً[1].

وفى مقابل ذلك التنسيب، نجد مَنْ يعرض لتلك الخصيصة دون قَصْرها على لهجة بعينها؛ يقول أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) - فيما نقله عنه السيوطىّ (ت٩١١هـ): «تدخل الزاى على السين، وربما دخلتْ على الصاد أيضاً؛ إذا كان فى الاسم طاء أو غين أو قاف... نحو: الصندوق والسندوق الزندوق»[2].

ونخلص مما سبق من كلام قدامانا عن هاتين الخصيصتين الصوتيتين التعامليتين - نخلُص إلى شيوع وقوع التبادل بين الأصوات الصفيرية حين تقع قبل الأصوات المستعلية - ومنها القاف - وإن اشتُهرتْ بعض اللهجات بإيثار صوت صفيرىّ خاص دون غيره. يقول الزمخشرىّ (ت٥٣٨هـ): «قوله: (وهو الصقر) بالصاد، والعامة تقول بالسين، وذلك لغة، والزاى لغة ثالثة، وكذلك كل صاد بعدها قاف أو طاء أو غين أو دال، فإن لغات لعرب تختلف فيها»[3].

* * *

٣ - جـ - التفسير الصوتى:

يمكننا - بعد - تفسير الخصيصتين الصوتيتين التعامليتين السابقتين فى ضوء (قانون) المماثلة الصوتية[4] assimilation، تأسيساً على اتصاف القاف بصفة التفخيم (الجزئى) مع الجهر، أو الهمس كما مرّ:

---

(١) انظر: الممتع ١/٤١٢. وانظر: د. أحمد علم الدين الجندى: اللهجات العربية فى التراث ٢/٤٤٩.

(٢) المزهر: ١/٤٧٤. وقد نقل السيوطى هذا النصّ عن كتاب الغريب المصنَّف لأبى عبيد، وقد راجعت هذا الكتاب فلم أعثر على النص فى مظانه.

(٣) الزمخشرى: شرح الفصيح ٢/٦٩٣. والضمير فى قوله: «وقوله...» يعود إلى ثعلب فى «فصيحة». وانظر - كذلك - ابن درستويه: تصحيح الفصيح وشرحه ص٥٠٨. ونلاحظ - بعد - أن الزمخشرى قد ذكر الدال أيضاً مع أصوات القاف والغين والطاء، والدال ليست مستعلية.

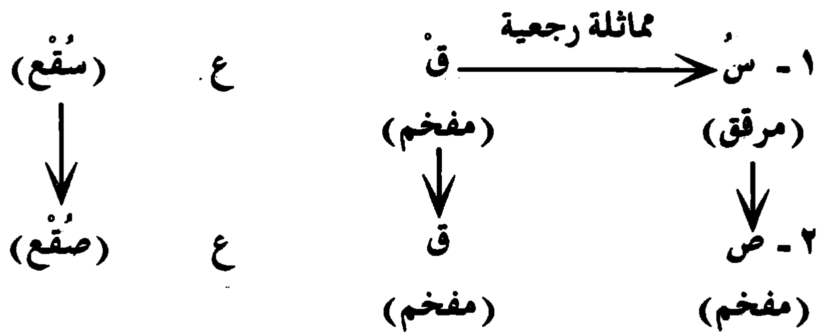
(٤) تُعرَّف المماثلة الصوتية بأنها «عملية تغير الصوت إلى صوت آخر بسبب تأثير صوت مجاور». = A course in Phonetics, P.98.

ـ فإبدال السين صاداً قبل القاف، يمكن تفسيره في ضوء المماثلة الصوتية[1] الرجعية regressive assimilation:

فالسين صوت مرقّق.

والقاف صوت مفخّم (جزئيًا).

أثّر الصوت المفخم على سابقه المرقّق، وحّوله إلى نظير المفخم[2] (الصاد)، ليحصل التماثل في التفخيم، فمثلاً:



= وتنقسم المماثلة بحسب «قَدْر التأثير» إلى (مماثلة تامة) حين يماثل الصوت المتأثر الصوت المؤثر تمامًا، و(مماثلة جزئية) حين يشابهه فقط. وتنقسم المماثلة بحسب «اتجاه التأثير» إلى (مماثلة تقدمية) حين يحصل التأثير من السابق على اللاحق، و(مماثلة رجعية) حين يحصل العكس. كما تنقسم المماثلة بحسب «مدى التجاور» إلى (مماثلة تجاورية) حين لا يكون ثمة فاصل بين الصوتين: المؤثر والمتأثر، و(مماثلة تباعدية) حين يكون ثمة فاصل.

انظر ـ في تفصيل القول في ذلك ـ: التطور النحوي للغة العربية ص٢٨ ـ ٣٣، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٩ ـ ١٨٨، والتطور اللغوي: مظاهره ص٣٠ ـ ٥٦، ودراسة الصوت اللغوي ص٣٧٨ ـ ٣٨١، وأسس علم اللغة ص١٤٧، ود. الخولي: الأصوات اللغوية ص١٧٩ ـ ١٨٨.

وانظر ـ كذلك: - Historical Linguistics, PP. 158 - 159.

(١) وانظر: في اللهجات العربية ص١٣٠، واللهجات العربية في التراث ٢/٤٤٦، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٥٠، ولهجة تميم ص٩٢ ـ ٩٣، ولغة تميم ص١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) لا فرق بين السين والصاد سوى في صفة التفخيم (الإطباق) فالصاد هي النظير المفخم للسين، والسين هي النظير المرقق للصاد. وانظر: الكتاب ٤/٤٣٦، والرعاية لتجويد القراءة ص٢١١، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٧.

الراجح - هنا - أن تكون القاف في هذه الأمثلة الصادية - أو في الشطر الأكبر منها لا سيما تلك المنسوبة صراحة إلى بني العنبر - هي القاف التميمية المهموسة (= قاف القرّاء) - على ما رجحتُ في المبحث الأول - إذ أن الأقرب إلى التأثير في السين المهموسة وتحويلها إلى نظيرها المفخم المهموس (الصاد) هو القاف المهموسة - كذلك - لا المجهورة (البدوية).

وتفسير تلك المماثلة - بعد - من حيث آلية النطق هو: أن «أعضاء النطق تستعدّ لنطق الصوت قبل نطقه فعلاً، الأمر الذى يؤثر على نطق الصوت السابق»[1]، وهذا يعني - فيما يعني - أن «عملية التفخيم تبدأ قبل نطق الصوت المفخَّم، وتستمرّ بعد نطقه، الأمر الذى يؤدى إلى تفخيم الأصوات السابقة والأصوات اللاحقة»[2] فهذا يفسّر تفخيم السين (= نطقها صاداً) قبل القاف، بفرض أن السين هي الأصل.

وأما تعليل ذلك، فهو اقتصاد الجهد، والتماس السهولة، بتحقيق الاطراد في هيئة النطق: من مفخم إلى مفخم، بدلاً من الانتقال من مرقق إلى مفخَّم[3] وهذا ما عبّر عنه سيبويه (ت١٨٠هـ) بقوله - في تعليل إبدال السين صاداً قبل الأصوات المستعلية: «... ليكون العملُ من وجه واحد»[4]،وعبارة المبِّرد (ت٢٨٥هـ): «..ليكون تناولهما من وجه واحد»[5]، وفصَّل ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) فقال: «وإنما ساغ قلْب السين صاداً إذا وقعتْ قبل هذه الحروف، من قِبَل أن هذه الحروف مجهورة (كذا) مستعلية، والسين مهموس مستفل؛ فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي؛ لأن ذلك مّما يثقُل؛ فأبدلوا من السين صاداً؛ لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء؛ فيتجانس الصوت ولا يختلف»[6].

---

(١)، (٢) د. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢١٨.

(٣) وانظر: دراسة الصوت اللغوى ص٣٨٦، ود. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢٢٥.

(٤) الكتاب: ٤/ ٤٨٠.

(٥) المقتضب: ١/ ٣٦٠.

(٦) شرح المفصل ١٠/ ٥٢. وانظر - كذلك: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٨، والممتع ١/ ٤١١، وشرح الشافية ٣/ ٢٣٠. ووصْف ابن يعيش للأصوات المستعلية التى تبدل السين قبلها صاداً بالجهر، هو على سبيل التغليب، وإلا فإن الخاء مهموسة.

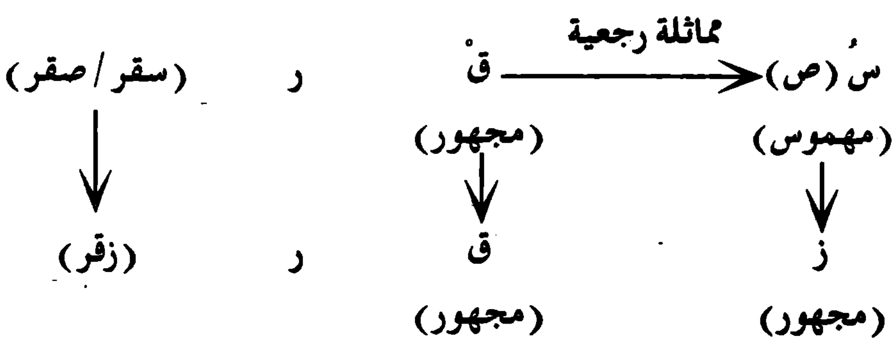
وأما بفرض ثبوت أن صوت «الصاد» هو الأصل، وأن السين مبدل منه، فإنه يُمكن تفسير ذلك صوتيًا على أنه ضَرْبٌ من «التخفيف»[1]، ومَيْل نحو الأيسر فونيميًّا؛ فـ«لا شكّ أن السين أكثر بساطة من الصاد؛ لأن الأخيرة تقتضى عملية إضافية على حركات نطق السين. وهذه العملية تتمثّل فى حركة مؤخر اللسان إلى أعلى، وحركة جذره إلى الخلف»[2].

ـ وإبدال السين ـ أو الصاد ـ زايًا قبل القاف، يمكن تفسيره ـ كذلك ـ فى ضوء المماثلة الصوتية الرجعية؛ تأسيسًا على صفة الجهر مع (التفخيم) فى القاف، حيث تتعرض السين لـ«الإجهار»:

فالسين (وكذلك: الصاد) صوت مهموس.

والقاف صوت مجهور.

أثّر الصوت المجهور على سابقه المهموس، وحوله إلى نظيره المجهور[3] (الزاى)؛ لتحصل المماثلة صفة الجهر[4] فمثلاً:



(١) وانظر: ابن درستويه: تصحيح الفصيح وشرحه ص٥٠٨.

(٢) دراسة الصوت اللغوى ص٣٩٥.

(٣) لا فرق بين السين والزاى إلا فى صفتى الجهر والهمس؛ فالزاى هى النظير المجهور للسين، والسين هى النظير المهموس للزاى. وانظر: الرعاية لتجويد القراءة ص٢١١، ود. أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٧.

(٤) وانظر: اللهجات العربية فى التراث ٢/ ٤٤٩، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٤٦ ـ ١٤٧.

والراجح أن تكون الزاى - هنا - زايًا مفخّمة، تُشبه الظاء المصرية الدارجة[1] كما أن الراجح - كذلك - أن تكون القاف فى هذه الأمثلة الزائية - أو فى الشطر الأكبر منها - هى القاف البدوية المجهورة، إذ إن الأقرب إلى التأثير فى السين (أو الصاد) وتحويلها إلى النظير المفخم المجهور (الزاى التى كالظاء المصرية) هو القاف البدوية المجهورة أيضاً، لا التميمية المهموسة.

والقول فى تفسير تلك المماثلة وعلّتها - بعد - هو عين ما قيل فى تفسير المماثلة السابقة وعلّتها، مع استبدال تحقيق الاطّراد فى صفة الجهر (والتفخيم) بالاطّراد فى تحقيق صفة التفخيم (فقط)[2]. يقول الرضى الاستراباذى (٦٨٦٠هـ): «... وذلك أنه لما تباين السين والقاف، لكون السين مهموسة، والقاف مجهورة، أبدلوها زايًا، لمناسبة السين للزاى فى المخرج والصفير، وللقاف فى الجهر»[3].

وأشير - أخيراً - إلى أن شيوع تأثر صوت السين بالقاف - وسائر الأصوات المستعلية - إذا وقعت السين قبلها، أو رجحان احتمال حصول ذلك، قد حدا بعلماء التجويد إلى التوجيه بضرورة المحافظة على «إنعام تخليص» السين فى تلك الحال، وإلا انقلب صاداً[4].

* * *

٣ - د - الأمثلة ومعيار ترجيح الأصالة:

إذا ما انتقلنا - بعد - إلى فحص الأمثلة التى أوردتها بعض كتب اللغة - وعلى رأسها كتب الإبدال والمعاجم - فإننا نجد تداخلاً شديداً بين استعمالات الجذور المشتملة على هذا التجمع الصوتى (القاف مسبوقة بصوت صفيرى)، بحيث يصعب تحكيم «المعيار الدلالى» لترجيح «الأصالة» أو «الفرعية»، كما أن

---

(١) وانظر: بحوث ومقالات فى اللغة ص٢٣٥، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٤٦.

(٢) وانظر: د. الخولى: الأصوات اللغوية ص٢٢٥.

(٣) شرح الشافيه ٣/٢٣٣. وانظر - كذلك -: المحتسب فى شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/٢٨٣.

(٤) انظر - مثلاً -: الرعاية التجويد القراءة ص٢١٢ - ٢١٣، والتحديد فى الإتقان ص٣١٩ - ٣٢٠، والتمهيد فى علم التجويد ص١٢٧، ولطائف الإشارات ١/٢٤٤.

(القوانين) الصوتية تسوّغ إبدال السين صاداً - أو زاياً - وكذا تسوّغ إبدال الصاد سيناً قبل القاف، على ما بُيِّن.

فلا يبقى من مرجِّح - إذن - سوى وفرة الشواهد التي تعكس اشتهار استعمال بعينه - صاديّ أو سيني (أو زائيّ) - في معنى بعينه، مما قد يعني أصالته في التعبير عن هذا المعنى، دون غيره مما يشاركه الدلالة على نفس المعنى، ويباينه في الصوت الصفيريّ. جاء في معجم العين: «قال الخليل: كل صاد قبل القاف، إن شئت جعلتها سيناً، لا تُبالي متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكون في كلمة واحدة، إلا أن الصاد في بعض الأحيان أحسن، والسين في مواطن أخرى أجود»[1]، وعبارة ابن سيده (ت٤٥٨هـ): «وكل صاد وسين تجيء قبل القاف فاللعرب فيها لغتان: منهم من يجعله سيناً، ومنهم من يجعله صاداً، لا يبالون متصلة كانت بالقاف أو منفصلة...»[2].

ولم يبيِّن الخليل (ت١٧٥هـ) - ولا ابن سيده مُتابِعُه - معيار هذه «الأحسنية»، فلعلّها تكون ما قررتُه اشتهار الاستعمال في التعبير عن معنى بعينه.

فمن الجذور التي تشتمل على استعمالات بالتوصيف السابق، مما أوردته كتب الإبدال خاصة، وبعض معاجم اللغة عامة، ما يلي:

(بزق - بسق - بصق):

استعمالاتها متداخلة، وإن كان بعضها أشهر في بعض المعاني من بعض، وكلٌّ من «بسق» و«بصق» أوفر استعمالات وشواهد من «بزق».

ومن الاستعمالات المتداخلة[3]:

- «البُصاق» و«البُزاق» و«البُساق»: التَّفْل المعروف، و«البصاق» أشهر.

---

(١) انظر: العين (صقع): ١/١٢٩.

(٢) انظر: المحكم (صقع): ١/٨٤.

(٣) انظر: إبدال الزجاجي ص٦٤، وإبدال أبي الطيب ٢/١٣، ١١٩، ١٢٩، ١٣٣، ١٧٣، ١٩٤، وديوان الأدب ١/٤٤٤، والمقاييس (بزق) ١/٢٤٤ و(بسق) ١/٢٤٧-٢٤٨ و(بصق) ١/٢٥٣، واللسان (بزق) ١/٢٧٦ و(بسق) ١/٢٨٤ و(بصق) ١/٢٩٥.

- «أبسقت الناقة»، و«أبصقت»، و«أبزقت»: أنزلت اللبن قبل الولادة بشهر أو أكثر؛ فتُحلب... إلخ.

(سفق-صفق):

استعمالاتهما متداخلة؛ جاء في اللسان - بعد سَرْد استعمالات «سَفق» -: «... والصاد في كل ذلك لغة»[٢]، وإن كان «صفق» أوفر من حيث الشواهد الشعرية والنثرية، فلعلّه - تأسيساً على ذلك - يكون هو الآصل.

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[٣]:

- «السَّفْق»، و«الصَّفْق»: الضرب الذي يُسمع له صوت.

- «أَسْفق» البابَ، و«أَصْفقه»: أغلقه.

- ثوب «سَفيق»، و«صَفيق»: متين النسج... إلخ.

ولم يرد «زفق» جذراً في اللسان.

(سقب-صقب):

استعمالاتهما متداخلة؛ ولذا يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «الصاد والقاف والباء لا يكاد يكون أصلاً؛ لأن الصاد يكون مرّة فيه بالسين، والبابان متداخلان: مرة يقال بالسين، ومرة بالصاد»[٣]، وجاء في اللسان - بعد سرد استعمالات «سقب» -: «... والصاد في كل ذلك لغة»[٤].

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة:[٥]

- «السَّقْب»، و«الصَّقْب»: عمود الخباء، وولد الناقة.

---

(١) اللسان (سفق): ٣/٢٠٣٠.

(٢) انظر: إبدال أبي الطيب ٢/١٩١، وديوان الأدب ٢/٣١٨، واللسان (سفق) ٣/٢٠٣٠، (وصفق) ٤/٢٤٦٣-٢٤٦٦.

(٣) المقاييس (صقب): ٣/٢٩٦.

(٤) اللسان (سقب) ٣/٢٠٣٦ر٢٠.

(٥) انظر: إبدال أبي الطيب ٣/١٨٠-١٨١، وديوان الأدب ١/٩٤، واللسان (سقب) ٣/٢٠٣٥-٢٠٣٦، و(صقب) ٤/٢٤٦٩).

- «أَسْقبتْ» دارُهم، «وأَصْقبتْ»: قربت... إلخ.

ولم يرد فى «زقب» استعمال مناظر لأىٍّ من استعمالات «سقب» و«صقب»[1].

(سقح ـ صقح):

لم يرد فى كلٍ منهما سوى استعمال واحد؛ قال أبو الطيب اللغوى: «رجل أَسْقح وأَصْقح: إذا كان أصلع»[2].

ولم يرد فى «زقح» ـ باللسان ـ استعمال مناظر لذلك المذكور[3].

(سقر ـ صقر ـ زقر):

استعمالاتها متداخلة. وأوفرها استعمالات وشواهد: «صقر» ثم «سقر»، ثم «زقر».

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[4]:

- «الصَّقْر»، و«السَّقْر»، و«الزَّقْر»: الطائر المعروف.

- «سَقَرَتْه» الشمس، و«صقرته»: لوَّحته وأذابته.

- «السَّقّار» و«الصَّقّار»: اللعّان لغير المستحقين... إلخ.

---

(١) انظر: اللسان (زقب) ٣/١٨٤٤.

(٢) الإبدال ٢/١٧٧. وانظر ـ كذلك ـ اللسان (سقح) ٣/٢٠٣٦، و(صقح) ٤/٢٤٧٠.

(٣) انظر:: اللسان (زقح) ٣/١٨٤٤.

(٤) انظر: إبدال الزجاجى ص٦٤ ـ ٦٥، وإبدال أبى الطيب ٢/١١٧، ١٣٢، ١٨٦، ١٨٧، وابن جنى: الخصائص ١/٣٧٤، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/٢٨٣، والمقاييس (سقر) ٣/٨٦ و(صقر) ٣/٢٩٧، والمفردات ص٤١٤، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٢١٧، واللسان (سقر) ٣/٢٠٣٦ـ٢٠٣٧ و(صقر) ٤/٢٤٧٠ـ٢٤٧١ و(زقر) ٣/١٨٤٤.

(سقع ـ صقع):

استعمالاتهما متداخلة؛ ولذا جاء في اللسان: «كل ما يُذكَر فى ترجمة صقع ـ بالصاد ـ فالسين فيه لغة»[1].

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[2]:

ـ «سَقَعَ» الديك، و«صَقَعَ»: صاح.

ـ وخطيب «مِسْقَع»، و«مِصْقَع»: إذا كان جهير الصوت بليغًا.

ـ و«السَّقْع» و«الصَّقْع»: الضرب بباطن الكفّ.

ـ و«السُّقْع»، و«الصُّقْع»: الناحية.. إلخ.

ولم يرد فى «زقع» استعماتل مناظر لأىٍ من استعمالات «سقع» و«وصقع» إلا قولهم: «زَقَع» الديك: صاح[3].

(سقل ـ صقل):

استعمالاتهما متداخلة، إلا أن «صقل» وافر الشواهد، على النقيض من «سقل»؛ ولذا يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «السين والقاف واللام ليس بأصل؛ لأن السين فيه مبدلة من صاد»[4]، ويقول الأزهرى (ت٣٧٠هـ) ـ بعد أن سرد استعمالات «سقل» ـ: «والصاد فى جميع ذلك أفصح»[5].

ومن الاستعمالات المتداخلة[6]:

ـ «السُّقْل» و«الصُّقْل»: الخاصرة.

---

(١) اللسان (سقع) ٣/٢٠٤٠. وانظر ـ كذلك: المقاييس (سقع) ٣/٨٧، و(صقع) ٣/٢٩٩.

(٢) انظر: إبدال أبى الطيب ٢/١٧٤، ١٨٩، وديوان الأدب ١/٢٩٨ ـ ٢٩٩، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٣، واللسان (سق) ٣/٢٠٤٠، و(صقع) ٤/٢٤٧١ ـ ٢٤٧٢.

(٣) انظر: اللسان (زقع) ٣/١٨٤٤.

(٤) المقاييس (سقل) ٣/٨٤.

(٥) تهذيب اللغة (سقل) ٨/٤٠٧. وانظر ـ كذلك ـ: اللسان (سقل) ٣/٢٠٤١.

(٦) انظر: إبدال أبى الطيب ٢/١٩٠، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٥، واللسان (سقل) ٣/٢٠٤١، و(صقل) ٤/٢٤٧٣ ـ ٢٤٧٤.

- سيف «سقيل»، و«صقيل»: مشحوذ... إلخ.

ولم يرد في «زقل» - باللسان - استعمال مناظر لأيٍ من استعمالات «سقل» و«صقل»[1].

(سلق - صلق):

استعمالاتهما متداخلة، وكلاهما غزير الشواهد؛ ولذا يقول ابن فارس - بعد أن أورد استعمالات «صلق» -: «ولا أنكر أن يكون هذا الباب كله محمولاً على الإبدال»[2].

ومن تلك الاستعمالات المتداخلة[3]:

- «سلق» و«صَلَق»: صاح. وقُرِئَ: «صَلَقوكم بألسنةٍ حِداد» بدلاً من «سلقوكم».

- خطيب «مِسْلَق» و«مِصْلَق»: إذا كان فصيحًا بليغًا... إلخ.

ولم يرد في «زلق» استعمال مطابق لأيٍ من استعمالات «سلق» و«صلق».

(سوق - صوق):

استعمالاتهما متداخلة، إلا أن «سوق» زعمّ تصرُّفًا، كما أنه غزير الشواهد، فلعلّه هو الآصل. وقد نسبت الاستعمالات الصادية - نصًّا - إلى بني العنبر من بني تميم.

---

(١) انظر: اللسان (زقل) ٣/١٨٤٥.

(٢) المقاييس (صلق) ٣/٣٠٧.

(٣) انظر: إبدال أبي الطيب ١٧٤، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٦، وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/٤٨، واللسان (سلق) ٣/ ٢٠٧٠ - ٢٠٧١، و(صلق) ٤/ ٢٤٨٤ - ٢٤٨٥. والقراءة المذكورة واردة في تفسير الكشاف ٣/ ٢٣١، والمحرر الوجيز ١٢/ ٣٣، والبحر المحيط ٧/ ٢٢٠.

فمن تلك الاستعمالات المتداخلة[1]:

- «السَّوْق»، و«الصَّوْق»: حَدْو الإبل.

- «السّوْق»، و«الصُّوق»: موضع البياعات.

- «الساق»، و«الصاق».

- «السَّويق»، و«الصَّويق»: ما يتخذ من الحنطة والشعير... إلخ.

ولم يرد في «زوق» - باللسان - استعمال مناظر لأيٍ من استعمالات «سوق» و«صوق»[2].

(لصق - لسق - لزق):

استعمالاتها متداخلة، وقد نسبت الاستعمالات «الصادية» إلى «تميم»، و«السينية» إلى «قيس، و«الزائية» إلى «ربيعة»[3].

ومن الاستعمالات المتداخلة[4]:

- هذه الدار بـ«لِصْق» هذه، و«لِسْقها»، و«لزقِها»، أى: بجانبها.

- «اللَّصَق»، و«اللَّزَق»، و«اللَّسَق»: التصاق الرئة بالجنب من العطش... إلخ.

---

(١) انظر: إبدال أبى الطيب ٢/١٩٠، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٦، واللسان (سوق) ٣/٢١٥٣-٢١٥٦ و(صوق) ٤/٢٥٢٨، والتاج (صوق) ٢٦/٤٣.

(٢) انظر: اللسان (زروق) ٣/١٨٩١.

(٣) انظر: اللسان (لصق) ٥/٤٠٣٢. وانظر: لغة تميم ص١٣٧.

(٤) انظر: إبدال الزجاجى ص٦٤، وإبدال أبى الطيب ٢/١١٥، وديوان الأدب ١/١٩١، والمقاييس (لصق) ٥/٢٤٩، و(لسق) ٥/٢٤٨، و(لزق) ٥/٢٤٤، وذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص٣٣٦، واللسان (لزق) ٥/٤٠٢٧، و(لسق) ٥/٤٠٢٩، و(لصق) ٥/٤٠٣٢.

ونلاحظ بعد:

- أن تبادل السين والصاد قبل القاف يفوق كثيراً تبادل الزاى مع أيٍ منهما: وربما يعكس ذلك أن صفة (التفخيم / الترقيق) أقوى تأثير من صفة (الجهر / الهمس) لدى تجاور الأصوات.

- تراوحت المماثلة الصوتية الرجعية هاهنا بين أن تكون تجاورية Contact (= انعدام الفاصل)، وأن تكون تباعدية distant (= وجود فاصل):

فمثال الأولى: (أسْقبت دارهم / أصقبت - خطيب مِسْقع / مِصْقع...).

ومثال الثانية: (ثوب سفيق / صفيق - صَقْر / سقر / زقر - سَلَق / صَلَق - سُوق / صُوق...).

●●●

الخاتمة

يمكن حصر أهم النتائج التى أمكن الوقوف عليها من خلال دراسة الصور النطقية للقاف، وأمثلة إبدالها ،وتأثيرها فى بعض ما جاورها من الأصوات، فيما يلى:

أولاً: أن الصور النطقية للقاف - كما وصفها القدماء وكما تتحقق فى اللهجات العربية المعاصرة - تنقسم إلى صور مطلقة لا يرتبط تحققها بقيد خاص (قاف القدماء - قاف القرّاء - القاف التى كالهمزة - القاف التى كالكاف)، وأخرى مقيدة يرتبط تحققها بقيد خاص: صوتى (القاف التى كالجيم المعطشة - القاف التى كالدال والزاى مركَّبيْن) أو ثقافى (القاف التى كالغين).

ثانياً: أن القاف التى وصفها القدماء (=لهوية + وقفية + مجهورة + مستعلية) لا تكاد تنطبق على أى من صورها النطقية الذائعة: إما لحصول تباين فى المخرج، كما هو الشأن فى القاف البدوية (طبقية)، والتى كالكاف (طبقية)، والتى كالهمزة (مزمارية)، أو لحصول تباين فى الصفات، كما هو الشأن فى قاف القراء (مهموسة)، والقاف التى كالغين (احتكاكية).

ثالثاً: راجّح البحث - بعد أن القاف البدوية هى القاف التي عناها القدماء بوصفهم، على أحد فرضين: إما أنها كانت لهوية بالفعل (تخرج من أقصى اللسان) ثم تغيرت فصارت طبقية على النحو الشائع الآن. وإما أن مفهوم «أقصى اللسان» - وهو المخرج الذى حدّده القدماء للقاف - كان يتسع ليشمل الثلث الداخلى من اللسان كذلك؛ فينطبق التحديد - بالتالى - على القاف البدوية المعاصرة.

وقد تأسّس هذا الترجيح على شهرة هذه القاف البدوية من ناحية، وعلى أنها لا تباين وصف القدماء إلا من حيث تحديد المخرج، وقد أمكن تقسيم ذلك كما مرّ.

رابعًا: رجّح البحث أن لقاف القراء أصلاً لهجيًا يرجع إلى قبيلة تميم، أو أحد فروعها. وقد تأسّس ذلك الترجيح ـ فيما تأسّس ـ على تحليل نصٍّ لابن دريد (ت ٣٢١هـ) ورد فيه «توصيف» لهذه القاف التميمية، كما تأسس كذلك على خصيصة صوتية تعاملية تتعلق بنطق السين صاداً قبل القاف لدى أحد فروع قبلة تميم. ولهذا الأمر قيمته، لأنه يثبت فصاحة تلك القاف وجواز قراءة القرآن الكريم بها كما هو شائع الآن.

خامسًا: رجّح البحث ـ في ضوء نصوص لابن خلدون والقَسْطَلاّني ـ أن القاف البدوية وقاف القرّاء المعاصرة قد استعملتا ـ متزامنتين ـ ردحًا من الزمن في قراءة القرآن الكريم. ثم صارت الغلبة للأخيرة، كما هو واقع الآن. إلا أن سبب هذه الغلبة، وتاريخ حصولها مازالا في حاجة إلى مزيد بحث وتفتيش.

سادسًا: أن التسليم بما قرره الدرس اللغوى المقارن من أن قاف القراء المهموسة المعاصرة تجسِّد الأصل السامي يقود إلى القول بأن هذا الصوت قد تعرَّض لنوعين أساسيين من التغير: تغير في مخرجه، وآخر في صفاته. فانتقال المخرج إلى الأمام أنتج القاف التى كالكاف، وانتقاله إلى الخلف أنتج القاف التى كالهمزة. وفقدان صفة الهمس أنتج القاف البدوية، ومن تلك الأخيرة تولدت القاف التى كالغين، والصورتان النطقيتان المزدوجتان الأخيرتان.

سابعًا: أمكن تقسيم ما أوردته كتب الإبدال - وغيرها - على أنه أمثلة لحصول الإبدال بين القاف وأصوات أخرى إلى قسمين متميزين: قسم تتحقق في أمثلته العلاقة الصوتية (ق / ك - ق / غ) وقسم لاتتحقق في أمثلته تلك العلاقة (ق / ب - ق / د - ق / س . . .) .

ثامنًا: تبيَّن من دراسة أمثلة (الإبدال) التي لا تتحقق فيها العلاقة الصوتية - أنها تخرج في مجملها من دائرة الإبدال إلى دائرة الترادف، أو شبهه؛ حيث وُجد - بالبحث - أن المعاني التجاذبة أصيلةٌ في كلٍ من جذور الاستعمالات المزعوم حصول الإبدال بينها؛ وهذا مما ينفي مظنة الإبدال، فضلاً عن إعواز العلاقة الصوتية .

تاسعًا: وجّه البحث إلى الأهمية الكبيرة لـ« المعيار الدلالي » في تحديد « الأصيل » و« المبدل » لدى دراسة أمثلة الإبدال؛ حيث تُرجِّح أصالة الاستعمال الذي تُشبه دلالتُه المتجاذَبة دلالات باقي استعمالات جذره . ويتأسس هذا المعيار على ما تتصف به العربية من وجود وشيجة دلالية بين استعمالات الجذر اللغوي الواحد .

عاشرًا: أمكن - بالاحتكام إلى هذا المعيار الدلالي في المقام الأول - دراسة الأمثلة الحقيقية لإبدال القاف (ق / ك - ق / غ) . وترجيح « الأصيل » منها و« المبدل » .

حادي عشر: أن أوضح تأثير للقاف في مجاوراتها يتجلّى في تلك الجذور التي تحتوي على صوت صفيري (س - ص - ز) مسبوقٍ بالقاف؛ إذ تتعدّد الصور النطقية لاستعمالات مثل هذه الجذور بتأثير القاف .

ثانى عشر: أن هناك خصيصتين صوتيتين تعامليتين (مطردتين) تتعلقان بمثل هذه الجذور: الأولى (إبدال) السين صاداً قبل القاف – وكذلك: قبل الخاء والغين والطاء - والثانية: (إبدال) السين - وربما الصادق كذلك - زايًا قبل القاف خاصة. وقد وردتْ تلك الخصيصتان منسوبتين تارة (الأولى لبنى العنبر من بنى تميم، والثانية لقبيلة كلب)، وغير منسوبتين تارة أخرى، وكأنهما مسلك صوتى تعاملّى عامّ.

ثالث عشر: أمكن تفسير تلك الخصيصتين الصوتيتين التعامليتين فى ضوء (قانون) المماثلة الصوتية الرجعية؛ تأسيسًا على اتصاف القاف بصفة التفخيم (الجزئى) مع الجهر أو الهمس: فاتصاف القاف بالتخفيم يقف من وراء (إبدال) السين صاداً لحيصل التماثل فى التفخيم. واتصاف القاف (البدوية) بالجهر يقف من وراء إبدال السين - وربما الصاد - زايًا (مفخّمة غالبًا) ليحصل التماثل فى الجهر.

رابع عشر: أن تبادل السين والصاد قبل القاف فى هذه الجذور يفوق - كثيرصا - تبادل الزاى مع أى منهما، وربما يعكس ذلك أن صفة (التفخيم / الترقيق) أقوى تأثيراً من صفة (الجهر/الهمس) لدى تجاور الأصوات.

خامس عشر: رجح البحث أن تكون القاف فى الاستعمالات الصادية (سُوق - صُوق) هى القاف التميمية المهموسة، على أساس أن الأقرب إلى التأثير فى السين المهموسة وتحويلها إلى نظيرها المفخم المهموس (الصاد) هو القاف المهموسة كذلك، لا المجهورة (البدوية).

كما رجّح البحث أن تكون القاف فى الاستعمالات الزائية (لِصْق - لِزْق - لِسْق) هي القاف البدوية المجهور، على أساس أن اتصافها بالجهر

هو ما أدى إلى «إجهار» السين ـ وربما الصاد كذلك ـ فصارت زايًا.

سادسًا عشر: تبين من كلام بعض قدامانا ـ كالخليل ـ أن حصول (الإبدال) بين السين والصاد قبل القاف لا يستلزم أن تكون السين هي الأصل، بل ربما كانت الصاد هي الأصل. وقد فسّر هذا الاحتمال الأخير (التحول من الصاد إلى السين) على أنه ضرب من «الميل نحو الأيسر فونيميًّا) اقتصاداً للجهد.

●●●

مصادر البحث

● **د. إبراهيم أنيس:**

- **الأصوات اللغوية** : مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ١٩٧١ .

- **فى اللهجات العربية**: مكتبة الأنجلو ـ القاهرة (الطبعة الخامسة) .

- **من أسرار اللغة**: مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ١٩٧٨ .

● **ابن الأثير (المبارك بن محمد):**

- **النهاية فى غريب الحديث والأثر** : تحقيق د. محمود الطناحى وطاهر الزاوى، المكتبة الإسلامية (دون تاريخ) .

● **د. أحمد علم الدين الجندى:**

- **اللهجات العربية فى التراث** : الدار العربية للكتاب ١٩٩٣م .

● **د. أحمد مختار عمر:**

- **دراسة الصوت اللغوى**، عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٩٠م .

- **علم الدلالة**: عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٨٨م .

● **الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد):**

- **تهذيب اللغة**: تحقيق مجموعة من الأساتذة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

● **د. إسماعيل أحمد عمايرة:**

- **نظرات فى التطور الصوتى للعربية** : حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب ـ العدد ٣٥ / ١٩٩٤م .

- **أبو الأسود الدؤلى (ظالم بن عمرو):**

- **ديوانه**: تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة ـ بغداد ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٦م.

- **ابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن على):**

- **الإقناع فى القراءات السبع**، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ـ جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ.

- **پاى، ماريو:**

- **أسس علم اللغة**: ترجمة د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب ـ القاهرة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

- **برجشتراسر:**

- **التطور النحوى للغة العربية**: أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٨٢م.

- **أبو البركات ابن الأنبارى (عبد الرحمن بن محمد):**

- **أسرار العربية**: تحقيق محمد بهجة البيطار، المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

- **بروكلمان، كارل:**

- **فقه اللغات السامية**: ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

- **البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد):**

- **ألف باء**: عالم الكتب ـ بيروت (مصورة عن طبعة المطبعة الوهبية بمصر ١٣٧٨هـ).

● **د. تمام حسان:**

- **مناهج البحث في اللغة:** دار الثقافة - الدار البيضاء ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

● **ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى):**

- **مجالس ثعلب:** تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار المعارف - مصر (الطبعة الثانية).

● **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):**

- **البيان والتبّين:** تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٧٥م.

● **الجرجاني (علي بن محمد):**

- **التعريفات:** تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

● **ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد):**

- **التمهيد في علم التجويد:** تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- **النشر في القراءات العشر:** تصحيح الشيخ علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة (دون تاريخ).

● **ابن جني (أبو الفتح عثمان):**

- **الخصائص:** تحقيق الشيخ محمد علي النجار، دار الهدى - بيروت (الطبعة الثانية).

- **سرّ صناعة الإعراب:** تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق ١٩٨٥م.

- **المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**: تحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

● **جونستون، ت.م:**

- **دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة العربية**: ترجمة د. أحمد محمد الضبيب، مطبوعات جامعة الرياض ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

● **الجوهرى (إسماعيل بن حماد):**

- **الصحاح**: تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

● **ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد):**

- **جمهرة أنساب العرب**: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار المعارف - مصر (الطبعة الخامسة).

● **حفنى ناصف:**

- **مميزات لغات العرب**: جامعة القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٧م.

● **د. حلمى خليل:**

- **التفكير الصوتى عند الخليل**: دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٨م.

● **د. حلمى السيد أبو حسن:**

- **لهجة القصيم**: دراسة لغوية ٢٠٠١م (طبعة خاصة).

● **الحميرى (نشوان بن سعيد):**

- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: تحقيق د. حسين بن عبد الله العمرى ود. يوسف عبد الله ومطهر الإربانى، دار الفكر - دمشق ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- **أبو حيان الأندلسى (محمد بن يوسف):**

- تفسير البحر المحيط : دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب: تحقيق د. رجب عثمان، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- **ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد):**

- مختصر فى شواذ القرآن: عنى بنشره برجشتراسر، مكتبة المتنبى - القاهرة (دون تاريخ) .

- **الخطيب التبريزى (أبو زكريا يحيى بن على):**

- تهذيب إصلاح المنطق: تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

- **ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد):**

- مقدمته : تحقيق د. على عبد الواحد وافى، دار نهضة مصر - القاهرة (الطبعة الثالثة) .

- **الخليل بن أحمد الفراهيدى:**

- كتاب العين: تحقيق د. مهدى المخزومى ود. إبراهيم السامرائى، دار الرشيد - العراق ١٩٨١م.

- **ابن درَسْتَويْه (أبو محمد عبد الله بن جعفر):**

- تصحيح الفصيح وشرحه: تحقيق د. محمد بدوى المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- **ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):**

- جمهرة اللغة: تحقيق د. رمزى منير بعلبكى، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م.

● **الراغب الأصفهانى (الحسين بن محمد):**

- **مفردات ألفاظ القرآن:** تحقيق صفوان عدنان داودى، دار القلم - دمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

● **الرضى الاستراباذى (محمد بن الحسن):**

- **شرح شافية ابن الحاجب:** تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، ومحمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

● **د. رمضان عبد التواب:**

- **بحوث ومقالات فى اللغة:** مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **التطور اللغوى:** مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى:** مكتبة الخانجى - القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

● **الزَّبيدى (محمد مرتضى):**

- **تاج العروس:** (طبعة الكويت وطبعة بولاق).

● **الزَّجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِىّ):**

- **معانى القرآن وإعرابه**، تحقيق د. عبد الجليل شلبى، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

● **الزَّجاجىّ (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق):**

- **الإبدال والمعاقبة والنظائر:** تحقيق عز الدين التنوخى، دار صادر - بيروت ١٩٩٣م.

● **الزمخشرى: (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر):**

- **شرح الفصيح** : تحقيق د . إبراهيم الغامدى، معهد البحوث الإسلامية والتراث الإسلامى - مكة المكرمة ١٤١٧هـ.

- **الكشّاف عن حقائق التنزيل**: دار المعرفة - بيروت (دون تاريخ) .

● **ساجُقلى زاده (الشيخ محمد المرعشى):**

- **جهد المُقِلّ فى تجويد القرآن العظيم** : تحقيق د . أبو السعود الفخرانى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م (طبعة خاصة) .

● **ابن السّراج (أبو بكر محمد بن السَّرِىّ):**

- **الأصول فى النحو** : تحقيق د . عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- **رسالة الاشتقاق** : تحقيق محمد على الدرويش ومصطفى الحدرى، دار مجلة الثقافة - دمشق ١٩٧٣م .

● **د . سعد مصلوح:**

- **دراسة السمع والكلام**: عالم الكتب - القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

● **ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):**

- **إصلاح المنطق** : تحقيق الشيخين: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف - مصر (الطبعة الثالثة) .

- **كتاب الإبدال** : تحقيق د . حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية بمصر ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

● **السلسيلى (أبو عبد الله محمد بن عيسى):**

- **شفاء العليل فى إيضاح التسهيل** : تحقيق د . الشريف البركاتى، المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

• **السَّمين الحلبى (أحمد بن يوسف):**

- **الدُّرّ المصون فى علوم الكتاب المكنون**: تحقيق د. أحمد محمد الخرّاط، دار القلم - دمشق ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

• **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):**

- **الكتاب**: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

• **ابن السيد البَطليَوسى (أبو محمد عبد الله):**

- **ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة**: تحقيق د. حمزة النشرتى، دار المريخ للنشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

• **ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل):**

- **المحكم والمحيط الأعظم**: طبعة معهد المخطوطات العربية.

- **المخصص**: المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت (دون تاريخ).

• **السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر):**

- **المزهر فى علوم اللغة وأنواعها**: تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٨م.

• **شاده:**

- **علم الأصوات عند سيبويه وعندنا**: صحيفة الجامعة المصرية - العدد الخامس ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

• **شريفة المعتوق:**

- **لهجة العجمان فى الكويت**: دراسة لغوية، مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربى - الدوحة ١٩٨٦م.

● **شهاب الدين القسطلانى (أبو العباس أحمد بن محمد):**

ـ **لطائف الإشارات لفنون القراءات**: تحقيق الشيخ عامر عثمان ود. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

● **د. ضاحى عبد الباقى:**

ـ **لغة تميم**: دراسة وصفية تاريخية، مجمع اللغة العربية بمصر ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● **د. الطيب البكوش:**

ـ **النظريات الصوتية فى كتاب سيبويه**: حوليات الجامعة التونسية ـ كلية الآداب ـ العدد رقم ١١ / ١٩٧٤م.

● **د. عبد العزيز مطر:**

ـ **الأصالة العربية فى لهجات الخليج**: عالم الكتب ـ الرياض ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

ـ **خصائص اللهجة الكويتية**: داسة لغوية ميدانية، جامعة الكويت ١٩٦٩م.

ـ **دراسة صوتية فى لهجة البحرين**: مطبعة جامعة عين شمس ـ القاهرة ١٩٨٠م.

● **د. عبد الله بوخلخال:**

ـ **ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب**: مجلة الآداب ـ جامعة قسنطينة، العدد رقم ٣ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

● **د. عبد المجيد عابدين:**

ـ **من أصول اللهجات العربية فى السدوان**: مكتبة غريب ـ القاهرة ١٩٦٦م.

- **د. عبد المنعم سيد عبد العال:**

- **لهجة شمال المغرب (تطوان وما حولها)**، دار الكتب العربى - القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

- **د. عبده الراجحى:**

- **اللهجات العربية فى القراءات القرآنية**: دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٥م.

- **أبو عبيد (القاسم بن سلام):**

- **الغريب المصنَّف**: تحقيق د. محمد المختار العبيدى، المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- **ابن عصفور (أبو الحسن على بن مؤمن):**

- **الممتع فى التصريف**: تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

- **ابن عطية الأندلسى (أبو محمد عبد الله):**

- **المحَرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق السيد عبد العال إبراهيم، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

- **ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله):**

- **المساعد على تسهيل الفوائد**، تحقيق د. محمد كامل بزكات، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى - جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

- **العُكبَرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين):**

- **المَشُوف المُعْلَم فى ترتيب الإصلاح على حروف المعجم**: تحقيق ياسين محمد السواس، مركز البحث الإسلامى وإحياء التراث الإسلامى - جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- **د. على حسين البواب:**

- **ظاهرة الإبدال اللغوى**: دراسة وصفية تاريخية، دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- **أبو على القالى (إسماعيل بن القاسم):**

- **كتاب الأمالى**: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

- **أبو عمرو الدانى (عثمان بن سعيد):**

- **التحديد فى الإتقان والتسديد فى صنعة التجويد**، تحقيق د. أحمد عبد التواب الفيومى، مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٩٣م.

- **د. عيد محمد الطيب:**

- **لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر**: المطبعة الإسلامية الحديثة - القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- **غالب فاضل المطلبى:**

- **لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة**: وزارة الثقافة والفنون - العراق ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- **الفارابى (أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم):**

- **ديوان الأدب**: تحقيق د. أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية بمصر ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- **ابن فارس (أبو الحسين أحمد):**

- **الصاحبى**: تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة ١٩٧٧م.

- **مقاييس اللغة**: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٦٦هـ.

● **د. فالح حنظل:**

- **معجم الألفاظ العامية**: في دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة - دولة الإمارات ١٩٩٨م.

● **الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد):**

- **معاني القرآن**: تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

● **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد):**

- **الجامع لأحكام القرآن**: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

● **كانتينو، جان:**

- **دروس في علم أصوات العربية**: ترجمة د. صالح القرمادي، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

● **الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة):**

- **ما تلحن فيه العامة**: تحقيق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

● **د. كمال بشر:**

- **علم الأصوات**: دار غريب - القاهرة ٢٠٠٠م.

● **ليتمان، إنو:**

- **بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي**: مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، المجلد العاشر - الجزء الأول ١٩٤٨م.

● **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد):**

- **المقتضب**: تحقيق محمد عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م.

● **د. محمد حسن جبل:**

- **المختصر في أصوات اللغة العربية**: دار الصحابة - طنطا ٢٠٠١م (الطبعة الثانية).

● **د. محمد على الخولى:**

- **الأصوات اللغوية**: دار الفلاح - عمّان ١٩٩٠م.

- **مدخل إلى علم اللغة**: دار الفلاح - عمّان ١٩٩٣م.

● **محمد مكى نصر:**

- **نهاية القول المفيد فى علم التجويد**، المكتبة التوفيقية - القاهرة (دون تاريخ).

● **د. محمود السعران:**

- **علم اللغة**: مقدمة للقارئ العربى، دار النهضة العربية - بيروت (دون تاريخ).

● **مكى بن أبى طالب القيسى:**

- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**: تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمّار - عمّان ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

● **المناوى (محمد عبد الرؤوف):**

- **التوقيف على مُهمّات التعاريفى**: تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - دمشق ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

● **ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى):**

- **لسان العرب**: طبعة دار المعارف بمصر.

● **موسكاتى، سبانتينو:**

- **مدخل إلى نحو اللغات السامية**: ترجمة د. مهدى المخزومى ود. عبد الجبار المطلبى، عالم الكتب - بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

● **ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على):**

- **شرح المفصل**، إدارة الطباعة المنيرية - مصر (دون تاريخ).

● ● ●

ثانيا: المصادر الأجنبية

* **Al - ani, Salman:**

- Araic Phonology : an acoustical and physiological investigation, indiana university, mouton, 1970

* **Carr, Philip:**

- Phonology, The macmilan prss LTD, London, 1993.

* **Crystal, David:**

- A dictionary of Linguistics and phonetics, Blackwell Pubishers, Oxford, 1997.

* **Fromkin Victoria & Roadman, Robert:**

- An introduction to language, Harcourt brace Jovanovich college publishers, New York, 1993.

* **Hawkins, Peter:**

- Introducing phonology, Hutchinson, London, 1988.

* **Lade Fogd, Peter:**

- A Course in phonetics, Harcourt Brace Jovanovich, Publisers, New York, 1982.

* **Lehmann, Winfred P:**

- historical linguistics: an introduction, Holt, rinehart and Winston, INC, New York, 1973.

* **O'connor J,D:**

- Phonetics, Penguin books, England, 1976.

* **Yale, George:**

- The study of language: an introduction, Cambridge university press, Cambridge, 1993.